كتابك

١٢٣

د. عفاف السيد زيدان

الحب
فى الشعر الفارسى



دار المعارف

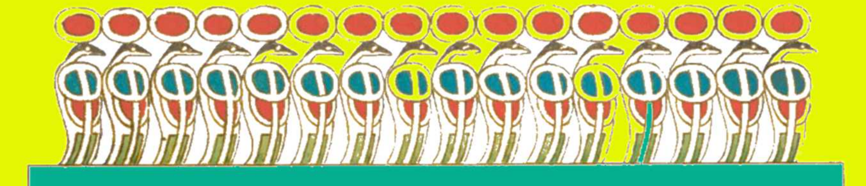
هـذا الكتاب

اتخذ الشعر الفارسى فى تعبيره عن الحب عديداً من الصور والأشكال كالغزل والرسائل والقصص والحكايات . . كما استفاد من منابع الحب لدى اليونان والعرب .

وهذا عرض شائق لتلك الصور والمنابع فى الشعر الفارسى تؤكد للشعر فى أيه لغة قدرته على حمل الأحاسيس والأفكار والتعبير عن هذه العاطفة الإنسانية الباقية .

١٠





ندعوكم لزيارة قنواتنا على اليوتيوب

قناة الإرشاد السياحي



قناة تهتم بالحضارة المصرية وتحتوي على فيديوهات تشرح مواقع الحضارة المصرية القديمة من معابد ومقابر وآثار منقولة في المتاحف بإضافة إلى العديد من الكتب المسموعة على اليوتيوب مصحوبة بالتعليق ووهي عن التاريخ المصري بوجه عام من تاريخ قديم وتاريخ مصر في العصور الاسلامية

قناة الكتاب المسموع



الكتاب المسموع

قناة تهتم بالقصص القصيرة والروايات الطويلة سواء للكتاب العرب أو الأجانب ومنها قصص بوليسية ورعب واجتماعية وخيالية وواقعية وسير ذاتية وأطفال

صفحة تحميل الكتب



كتب سياحية و أثرية و تاريخية عن مصر

كتاب · @AhmedMa3touk





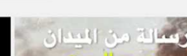
الكتاب المسموع - قصص قصيرة - روايات

731 مشتركًا

مشترك | CSV EXPORT | ADD COMPETITOR

الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | القنوات | مناقشة | لمحة

الفيديوهات المُحمّلة | تشغيل الكل | Top Keywords | الترتيب حسب



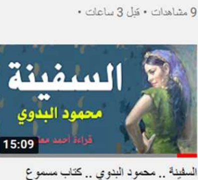


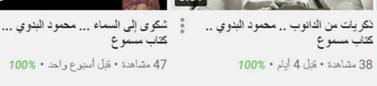

رسالة من الميدان .. محمود البدوي .. كتاب مسموع
9 مشاهدات • قبل 3 ساعات •

صرخة في الليل .. محمود البدوي .. كتاب مسموع
41 مشاهدة • قبل يوم واحد • 100%

الخنزير .. تأليف محمود البدوي .. كتاب مسموع
50 مشاهدة • قبل يومين • 100%

الغريق ... محمود البدوي .. قصة قصيرة
38 مشاهدة • قبل 3 أيام • 100%






السفينة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع
59 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%

ذكريات من الدائوب .. محمود البدوي .. كتاب مسموع
38 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%

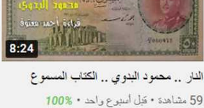
شكوى إلى السماء ... محمود البدوي ... كتاب مسموع
47 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%

دارلنج ... محمود البدوي .. كتاب مسموع
55 مشاهدة • قبل أسبوع واحد •









العزبة الجديدة ... محمد البدوي .. كتاب مسموع
124 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%

العذراء والليل .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع
75 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%

فاعل خير .. محمود البدوي .. قصص قصيرة
44 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%

النار .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع
59 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%






حارس المحطة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع
87 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%

دروس خصوصية .. محمود البدوي .. قراءة أحمد معتوق
82 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%

ليلة في بوخاريست ... محمود البدوي ... قصة رومانسية
96 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%

حلم الموت .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع
107 مشاهدات • قبل 3 أسابيع • 100%





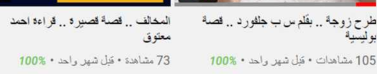

تابوت الموتى .. قصة مسموعة .. قراءة احمد معتوق
130 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%

الطاعة العمياء .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق
123 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%

الساحرة .. س ب جلفورد .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع
156 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%

الخادم الذي لم يقتل .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق
95 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%



طرح زوجة .. بقلم س ب جلفورد .. قصة بوليسية
105 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%

المخالف .. قصة قصيرة .. قراءة احمد معتوق
73 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

جزيرة الكنز ... قصة بوليسية .. ريتشارد هاردويج .. كتاب مسموع
110 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%

المقبرة ... قصة بوليسية .. كتاب مسموع
138 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%








سر الصندوق .. قصة بوليسية .. قراءه أحمد معتوق
132 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في سيدي العتريس .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
113 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في المبتديان ... يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
99 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في الناصرية ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
141 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%







في الخليج المصري ... يوسف السباعي ... قصص قصيره
137 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في زين العابدين .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع
117 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في حارة السيده ... يوسف السباعي ... الكتاب المسوع
130 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في البغالة ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع
146 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%



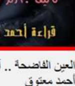

في سيدي الحبيبي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
103 مشاهدات • قبل شهر واحد 100%

في الموارذي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
99 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في سيدي زينهم ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع
139 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

في جنينة ناميش .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
132 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%





في ابو الريش .. يوسف السباعي
127 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

سر المسحوق الوردي - من الخيال العلمي - قراءه أحمد معتوق
100 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

القصر المسكون ... دونالد هويتج .. الكتاب المسموع
140 مشاهدة • قبل شهر واحد 100%

العين الفاضحة .. آرثر بروجيس .. قراءه أحمد معتوق
61 مشاهدة • قبل شهرين 100%







سخرية القدر.. كارول مايرز - كتاب مسموع
85 مشاهدة • قبل شهرين 100%

المزحة القاتلة
97 مشاهدة • قبل شهرين 100%

رحلة غرامية .. قصة من الأدب الأمريكي
100 مشاهدة • قبل شهرين 100%

آلة الزمن ... قصة قصيرة .. قراءه أحمد معتوق
97 مشاهدة • قبل شهرين 100%





آلة الجنون ... ليو إليس .. قراءه أحمد معتوق
52 مشاهدة • قبل شهرين 100%

حتى يفرق الموت بيننا - كارول مايرز - قصة قصيرة
56 مشاهدة • قبل شهرين 100%

عندما يموت هذا الرجل - قصة قصيرة
76 مشاهدة • قبل شهرين 100%

كأس وليمونة ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
88 مشاهدة • قبل شهرين 100%






على الحياد ... محمود تيمور ... قصة قصيرة .. الكتاب المسموع
88 مشاهدة • قبل شهرين 100%

ليلة العرس ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
108 مشاهدات • قبل شهرين 100%

الجنتلمان ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
86 مشاهدة • قبل شهرين

كتاب مسموع ... نفحة من الايمان (المجموعة القصصية كاملة) ... يوسف...
256 مشاهدة • قبل شهرين 100%





قناة الإرشاد السياحي في مصر

38.4 ألف مشترك

الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | المنتدى | القنوات | لمحة

الفيديوهات المُحمّلة تشغيل الكل

الترتيب حسب



نائب عزرائيل .. الرواية كاملة .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع

2.8 ألف مشاهدة • قبل 4 أيام • 92%



كتاب مسموع .. نفحة من الإيمان (كاملا) .. يوسف السباعي ..

584 مشاهدة • قبل 6 أيام • 85%



المومياوات المصرية .. اعجب ما يمكن أن تشاهد أو تسمع .. !!

5.4 ألف مشاهدة • قبل أسبوعين • 95%



زيارة للجنة والنار ... مصطفى محمود .. كتاب مسموع

36 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 92%



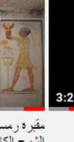
معابد جزيرة فيلة .. درة المعابد المصرية .. الشرح الكامل ل 400 مشهد بالصور

3.5 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 97%



كتاب الخروج من التابوت (قصة) .. مصطفى محمود .. كتاب مسموع

28 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 91%

كتاب كلمة السر (كاملا) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

30 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 93%

مقبرة رمسيس التاسع .. وادي الملوك .. الشرح الكامل لأعجب رحلة في العالم...

61 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 94%



كتاب مسموع 12 إمرأة - المجموعة كاملة ليوسف السباعي

2.6 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 97%



كتاب عصر القرود (النسخة الكاملة) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

51 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 95%



كتاب مسموع ساخر - فانتازيا فرعونية - محمد عفيفي

3.6 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 98%



المتحف المصري (5) كنوز الدولة الحديثة - العصر الذهبي

4.1 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 95%

كتاب الشيطان يحكم (النسخة الأصلية) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

264 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 94%



بلاد النوبة - كتاب مسموع

1.7 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 97%



معبد حتحور بدندرة - الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور

8.4 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 98%



كتاب الأهرامات المصرية (كامل) - احمد فخري - كتاب مسموع

17 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب القاهرة القديمة و أحياؤها (كتاب مسموع)

4.5 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب موسوعة تاريخ مصر الإسلامية (كتاب مسموع)

12 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 97%



عودة المومياء The Mummy 2001 Returns (ملخص الفيلم) - أفلام عن...

3.9 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 100%



فيلم المومياء The Mummy 1999 (ملخص الفيلم) - افلام عن مصر



5.8 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 93%



1:53:17

كتاب الشفاعة كاملا - مصطفى محمود (كتاب مسموع)

19 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر 96%



3:09:08

شرح معبد حتشبسوت بالدير البحري تفاصيل المناظر بالصور

15 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر 96%



2:44:16

تاريخ مصر تحت حكم الرومان كاملا - فاروق القاضي (كتاب مسموع)

8.6 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر 97%



2:10:26

كتاب تاريخ مصر في عصر البطالمة - إبراهيم نصحي (كتاب مسموع)

8.7 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر 97%



31:26

قصر البارون الجزء الأول اللعنة

3.7 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر 96%

ترجمة مصاحبة

13:29:39

كتاب مصر الفرعونية كامل - أحمد فخري - التاريخ المصري (كتاب مسموع)

75 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر 97%



2:23:33

كتاب الخروج من الجسد (كتاب مسموع)

12 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر 95%



1:05:52

مجموعة زوسر والهرم المدرج بسقارة - الشرح الكامل

21 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر 97%



2:31:43

كتاب أخناتون كامل (كتاب مسموع)

14 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر 96%

1:46:33

المتحف المصري (4) الدولة الوسطى وكنوزها بالمتحف

28 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر 96%



4:24

أمنمحات الأول ولد فقيرا و عاش عظيما وقتل وحيدا

2.2 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 95%

10:33

حاملة القرابين أرشق عارضة أزياء من مصر القديمة

1 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 94%



8:23

تمثال منتوحتب الثاني (صدفة أم نبوءة تحققت) من الجزء الرابع المتحف...

2.8 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 95%



2:29:29

كتاب رحلتي من الشك إلى الإيمان - مصطفى محمود (كتاب مسموع)

69 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 96%



2:53:41

كتاب الله و الانسان كامل - مصطفى محمود (كتاب مسموع)

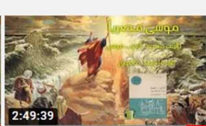
216 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 93%



2:21:40

معبد إدفو الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور

14 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا 96%



2:49:39

كتاب موسى مصريا كاملا - نظرية فرويد في التاريخ اليهودي (كتاب مسموع)

22 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 93%



1:08:39

رواية عودة مومياء (كتاب مسموع) - ألفريد هتشكوك

3.9 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 94%

1:30:50

كتاب معنى الاحلام و غرائب أخرى (كتاب مسموع)

9.6 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 94%



1:56:23

كتاب الأشباح المشاغبة وغرائب أخرى (كتاب مسموع)

10 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 95%

19:50

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (6) - قارة أستراليا (كتاب مسموع)

987 مشاهدة • قبل سنة واحدة 100%

32:03

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (5) - قارة أوربا (كتاب مسموع)

908 مشاهدات • قبل سنة واحدة 100%



40:38

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (4) - اسيا والقارة القطبية (كتاب مسموع)

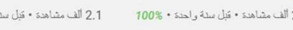
2.3 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 100%

40:22

كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (3) - أمريكا (كتاب مسموع)

2.1 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة 100%






كتابك ١٢٣

رئيس التحرير أنيس منصور

د. عفاف السيد زيدان

الحب في الشعر الفارسي



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

منابع الحب فى الشعر الفارسى

المنبع اليونانى :

فى ندوة المأدبة التى عقدها أفلاطون فى كتابه «المأدبة» لمعالجة موضوع الحب ، نراه قد تعرض للآراء الآتية عن هذه المشكلة الإنسانية المعقدة :

فيدرس :

يتحدث فيدرس عن طبيعة الحب وآثاره ، ثم علاقته بالفضيلة والسعادة ، وفيما بين ذلك يشير إشارة هامشية إلى العلاقة بين الحب والجمال :

– فالحب ، فى نظر فيدرس ، إله بل هو أعظم الآلهة ، إذ هو أقدمها : فهو أول ما أبدع من الآلهة ، وثالث ما برز إلى الوجود ، ولا يسبقه إلا السماء ثم الأرض .

– والحب هو مصدر الحياة النبيلة ، إذ هو المبدأ الذى يحمل الإنسان على تجنب الرذيلة وعلى الإقبال على الفضيلة ، وليس شيئاً سوى الحب هو الذى يحمل المحب على التضحية بالحياة فى سبيل الغير ، ولا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء ، بل الكل سواء ، ويقرر فيدرس

أن الآلهة تزيد الجزاء والتقدير بالنسبة للمحبوب أكثر من المحب ، وهذا راجع إلى أن المحب تتملكه قوة إلهية وبالتالى تعينه على أعمال البطولة وتسهل له القيام بها ، بخلاف المحبوب الذى يعتمد فى ذلك على نفسه .

— ثم يتعرض فيدرس أخيراً ، فى إشارة سريعة كما قلنا ، إلى علاقة الحب بالجمال فيبين أن درجة الجمال ترتفع فى المحبوب عنها فى المحب ، ولذلك كان أيسخليوس مخطئا حينما قال : إن أخيل هو محب بتروكليس ، مع أن أخيل كان أجمل من بتروكليس بل هو أجمل الأبطال جميعاً ، إذن فالواجب أن يكون أخيل هو المحبوب لا المحب .

بوزنياس :

يتعرض بوزنياس لطبيعة الحب ، وعلاقته بالجنس ، ثم علاقته بالفضيلة والرذيلة . ويبدأ بوزنياس أولاً بنقد فيدرس فيبين أنه قد أخطأ فى طبيعة الحب حيث جعله نوعاً واحداً ، والحقيقة أن الحب ينقسم إلى نوعين :

١ — حب وضيع . وهو ينسب إلى أفروديت الصغرى أوالعامية التى جاءت إلى الوجود عن طريق اتصال ذكر بأنثى اتصالاً جنسيًّا محضاً ، وهذا الحب يشارك طبيعة الربة التى ينسب إليها ، ولهذا كان من علاماته الاتجاه نحو النساء والغلمان ؛ قصداً لإشباع الشهوة البهيمية ، فهو حب حسى لا روحى ، ومكانه إنما هو قلوب السفلة والعامة من الناس ، وهو

حب قصير ، لأنه موقوت بنضارة الجسم وهى سريعة الزوال ، كما يغلب عليه نزق الشباب وطيشه .

٢ - حب سام ، وهو ينسب إلى إفروديت الكبرى أو السماوية ، وهى التى جاءت إلى الوجود من الذكر وحده ، ولا أثر للأنثى فى هذا الوجود . وهذا الحب يشارك ربته فى طبيعتها ، ولهذا فإن صاحبه يتجه نحو الذكور دون الإناث ، وتتمثل غايته فى إشباع العقل والجسم ، وهو حب دائم برىء من طيش الشباب .

أريكسماخوس :

إن تأثير الحب فى نظر أريكسماخوس ، لا يقتصر على الروح أو الغلمان ، وإنما يمتد إلى كل مكان وإلى كل موجود ، وهو ينقسم عنده إلى قسمين :

١ - حب سام ، وهو الحب الذى يؤلف بين العناصر المتنافرة ويربط بينها برباط من الانسجام والتعادل ، والعناصر المتنافرة هى العناصر المتضادة مثل : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

٢ - حب خسيس ، وهو الحب الذى لا يرعى الانسجام أو التعادل بين العناصر ، بل إن العناصر فيه مفككة غير متعادلة .

أرستوفانز :

بعد أن قرر أرستوفانز أن الحب أشفق الآلهة بالناس ، وهو المخلص لهم من الآلام – بدأ يشرح سر قوة الحب التي لا يدركها الناس وإلاّ لأقاموا للحب أضخم المعابد وأعظمها .

يربط أرستوفانز بين الحب وبين أسطورة خلق الإنسان وما حصل فيها من تطورات : فالإنسان في مبدأ أمره لم يكن على الصورة التي هو عليها الآن ، وإنما هذا الشكل يمثل قطاعاً نصفيًّا من شكل كروى قد شطر إلى نصفين ، وكل شطر يشتاق إلى الشطر المكمل له ، ويظل يبحث عنه ، فإذا التقيا تعانقا بقوة حتى كأنما يعودان بهذا العناق إلى توحدهما الأول ، وإذا مات أحد الشطرين قبل الآخر سعى الثانى إلى شطر جديد ، والتصق به . ومحاولة اللقاء الجنسى إنما تهدف إلى أمرين :

١ – حفظ النوع .

٢ – إشباع الرغبة في الاتصال والتوحد حتى لو كان بين مثلين .

وعلى هذا فالحب هو الذى يعيد الإنسان إلى حالته الأولى « لأنه يجعل من الشطرين المنفصلين كائناً كاملاً فتندمل الجروح التى لا يزال يئن منها البشر » .

وخلاصة القول كما يقول أرسطوفان : « إن المحب يتحد بمحبوبه ويفنى فيه ، فيصير المحب والمحبوب شخصاً واحداً ، وعلة ذلك أننا كنا

أصلاً كائناً واحداً ، وليس الحب إلا تعبيراً عن الشوق إلى العودة إلى الأصل . ووسيلة لذلك »

أجاثون :

بعد أن ينتقد أجاثون الآراء السابقة ، مبيناً أنها قد تناولت آثار الحب ، ولم تتحدث عن طبيعته – مع أن المنهج الصحيح فى المدح يفرض على المادح أن يتحدث أولاً عن طبيعة الممدوح ثم يثنى بعد ذلك بالكلام عن آثارة – بعد هذا يتحدث أجاثون عن الحب حديث الشاعر : فيذكر أن الحب أسعد الآلهة ، وأجملها ، وخيرها . وإنما كان أجملها للاعتبارات الآتية :

– الحب ليس كما قال فيدرس : أقدم الآلهة ، وإنما هو أصغرها ، إذ هو ينفق عمره فى صحبة الشباب ، أما الكهول فلا يصحبهم زماناً طويلاً ، إن لم نقل : إنه يكرههم .

– وقوع الاضطراب والعنف بين الآلهة ، ثم حلول السلام بحلول الحب .

– الحب رقيق ، إذ يحيا فى أرق الموجودات ، أعنى الأرواح والقلوب الرقيقة ، أما القلوب الغليظة فهو بعيد عنها .

– الحب وديع لين لا غلظة فيه ولا فظاظة ، إذ هو حسن الصورة جميل الشكل ، ودليل ذلك أنه لا يحيا إلا بين الزهور ، ولا يحل فى

مكان إلا ويجعله مزدهياً يافعاً .

بعد هذا الحديث عن جمال الحب ينتقل أجاثون إلى الحديث عن خيرية الحب فيقرر : أن الحب لا يضر ولا يضار ، إذ لا يمكن للعنف أن يمس الحب ، والحب لا يستخدم العنف ، إذ الكل طوع أمره .

هذا ، ومن أوصاف الحب التحلى بالعفة وضبط النفس ، إذ ليس هناك ما هو أقوى من الحب فى كبح جماح اللذات والسيطرة عليها .

سقراط :

يتناول سقراط النتيجة التى انتهى إليها أجاثون وهى : أن الحب جميل وخير ، فيسلك مع أجاثون سبيل الحوار ، وينتهى إلى الاعتراف بأن :

– الحب شىء مضاف كالأبوة والبنوة ، إذن فهو يوجد مضافاً إلى شىء معين .

– هذا الشىء المعين ينقص الحب فى الوقت الذى يحتاج إليه .

– إذا كانت غاية الحب هى الجمال – وقد اتفق على أن المرء لا يطلب الشىء فى حال امتلاكه له ، وإنما يطلبه فى حال فقده إياه – فإن الحب على هذا ينقصه الجمال ، وبالتالى لا يكون الحب جميلاً .

– إذا كان الخير هو بعينه الجميل ، والحب ينقصه الجمال ، إذن فهو ينقصه الخير ، وبالتالى لا يكون الحب خيراً .

بعد هذا يبدأ سقراط فى عرض نظريته فى الحب ، ويدير الحوار بينه وبين امرأة يتخيلها ونسمع من خلال هذا الحوار النتائج التالية :

– الحب ليس جميلاً ولا خيراً ، وفى نفس الوقت ليس قبيحاً ولا شريراً ، وإنما هو بين بين ، شأنه فى ذلك شأن الاعتقادات الصحيحة العارية عن البرهان : فهى لا تسمى معرفة لأنها لا برهان عليها ، ولا تسمى جهلاً ، لأن العقل يستطيع الوصول بها إلى الحقيقة .

– الحب ليس بإله ، لأن الإله سعيد وجميل ، ونعنى بالسعادة : التمتع بالخير والجمال ، والحب ينقصه الخير والجمال ويرغب فيهما – وفى نفس الوقت ليس بفان ، وإنما هو نصف إله ونصف إنسان .

– عمل الحب هو أنه رسول بين الآلهة والناس : ينقل من الآلهة إلى الناس الأوامر والنواهى ، ويرفع إلى الآلهة صلوات الناس ودعاءهم وقرابينهم ، وعلى هذا فالحب بطبيعته المزدوجة يمثل حلقة الاتصال بين عالم الآلهة ودنيا الناس ، إذ الآلهة لا تتصل بالناس اتصالاً مباشراً وإنما يتم هذا الاتصال بواسطة الأرواح سواء فى اليقظة أو فى المنام .

– أما التدرج فى مراتب الحب فيسير وفقاً لترتيب تصاعدى يبدأ بالمحسوس الجزئى المتمثل فى حب فتى جميل بعينه ثم يصعد من هذا الحب المرتبط بشخص معين إلى حب الجمال الحسى المنطبق على جميع الأفراد محرراً من الارتباط بشخص معين ، ثم يصعد من هذا الحب إلى حب الجمال الخلقى ، ثم يصعد من هذا إلى حب جمال المعرفة النسبية ، ثم

ينتهى أخيراً إلى قمة الحب ، أعنى حب جمال المعرفة المطلقة ، ومن يصل إلى هذه القمة يستطيع أن يدرك الجمال الإلهى المطلق ويتأمله ويتحد به ، وفى هذه الحالة لا يستطيع الواصل أن يأتى بصور منعكسة للخير فقط ، وإنما يستطيع أن يأتى بالخير الحقيقى ، إذ أنه قد جاوز ظلال الحقيقة إلى الحقيقة فى ذاتها ، وفى هذه الحالة يصبح أهلاً لحب الله ويتحقق له الخلود والبقاء .

المنبع العربى :

وإذا انتقلنا إلى الجــو العــربى ، فسنجد كثيراً من المؤلفات التى عالجت موضوع الحب مثل : (كتاب الزهرة) لابن داود الأصفهانى ، و(مصارع العشاق) لأبى جعفر السراج ، و(تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق) لداود الأنطاكى ، و(طوق الحمامة) لابن حزم ، إلى غير ذلك من مؤلفات يعد من أهمها — إن لم يكن أهمها على الإطلاق — كتابا : «الزهرة» و«طوق الحمامة» .

وكتاب (الزهرة) قد تكلم فيه صاحبه عن الحب من خلال الشعر العربى ، أما كتاب (طوق الحمامة) فإن صاحبه قد أداره على مشاهداته وتجاربه ، وعلى ما سمعه من الثقات دون نظر إلى أخبار الأعراب والمتقدمين ، لأن سبيلهم ، كما يقول : «غير سبيلنا» . ومنهجه إنما هو التأصيل لا التقليد ، أوكما يقول : «وما مذهبى أن أنضى مطية سواى ولا

أتحلى بحلى مستعار» ولكنه فى الحقيقة قد استفاد استفادة كبيرة من كتاب (الزهرة) إلا أنه قد استوفى الموضوع : فزاد عليه واستقصاه وتناوله من شتى الجوانب ، ولذلك سنحاول أن نعتمد عليه اعتماداً أساسيًّا اللهم إلا فيما تفرد به غيره .

من الطبيعى أن يتناول حديثنا فى البداية قضية نشأة الحب وتطوره ، وقد تعرض كتاب (الزهرة) لهذه القضية إلا أننا لا نستطيع أن نميز بوضوح الحدود الفاصلة القاطعة بين درجات هذا الحب وتطوراته ، اللهم إلا فى عبارات شعرية واسعة :

– فأصل الهوى ينشأ من السماع والمعاينة ، ثم يتدرج ويتطور حتى يبلغ الذروة ، أعنى الوله ، وفى هذه الحال كما يقول الشاعر :

ينسى الهوى وصفه من حل ذروته   كالأرض يشغل عنها من ثوى فيها

وإذا حاولنا التفصيل فسنجد التدرجات والمراتب التالية :

«أول ما يتولد عن النظر والسماع : الاستحسان ، ثم يقوى فيصير : مودة ، والمودة سبب الإرادة ، فمن ود إنساناً ود أن يكون له خلاً ، ومن ود غرضاً ود أن يكون له ملكاً ، ثم تقوى المودة فتصير : محبة ، والمحبة سبب للطاعة . . . ثم تقوى المحبة فتصير : خلة ، والخلة بين الآدميين : أن تكون محبة أحدهما قد تمكنت من صاحبه حتى أسقطت السرائر بينه وبينه فصار متخللاً لسرائره ومطلعاً على ضمائره . . . ثم تقوى الخلة فتوجب : الهوى ، والهوى : اسم لانحطاط المحب فى محاب المحبوب وفى

التوصل إليه بغير تمالك ولا ترتيب . . . ثم تقوى الحال فيصير : عشقاً ، والعاشق يمنعه من سرعة الانحطاط فى هوى معشوقه إشفاقه عليه وضنه به ، حتى إن إبقاءه عليه ليدعوه إلى مخالفته وترك الإقبال عليه ، فمن الناس من يتوهم لهذه العلة أن الهوى أتم من العشق ، وليس الأمر كذلك ، ثم يزداد العشق فيصير : تتيما ، وهو : أن تصير حالة المعشوق مستوفية للعاشق ، فلا يكون فيه معها فضل لغيرها ولا يزيد بقياسه شيئاً إلا وجدته متكاملاً فيها . . . ثم يزداد التتيم فيصير : ولهاً ، والوله : هو الخروج عن حدود الترتيب والتعطل عن أحوال التميز حتى تراه يطلب ما لا يرضاه ويتمنى مالا يهواه ، ثم يحتذى مع ذلك مثالاً ولا يستوطن حالاً » . ولا يكاد يخرج عن هذا الاتجاه غير المحدد أبو منصور الثعالبى اللغوى الفارسى ، فقد تكلم فى كتابه (فقه اللغة) عن مراتب الحب وتطوراته فقال : «أول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة وهى : الحب اللازم للقلب ، ثم الكلف وهو : شدة الحب ، ثم العشق وهو : اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب ، ثم الشغف وهو : إحراق القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج . . . ثم الشغف وهو : أن يبلغ الحب شغاف القلب وهى جلدة دونه ، ثم التتيم وهو : أن يستعبده الحب . . . ثم التبتل وهو : أن يسقمه الهوى ، ومنه رجل متبول ، ثم التدليه وهو : ذهاب العقل من الهوى ومنه رجل مدله ، ثم الهيوم وهو : أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم» . ومن الملاحظ

أن هذه التقسيمات تختلف اختلافاً كبيراً مع تقسيمات كتاب (الزهرة) ولكنها تتحد معها ، كما قلنا ، فى عدم وضع الحدود الفاصلة أو المميزات الواضحة لكل قسم من أقسام الحب ، وإنما هى حدود ومميزات عامة مصوغة فى عبارات واسعة .

على أننا يجب أن نلاحظ أن النظر والسماع – وإن تولد عنهما أول مراتب الحب – ليسا علة حقيقية للحب وإنما هما وسيلة فقط لاستكشاف المحبوب ، والعلة الحقيقية ، كما ذهب كل من ابن أبى دواد وابن حزم ، إنما تكمن فى التعارف والتآلف ، ودليل ذلك النص الدينى الذى يقول فيه الرسول ﷺ «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» ولكن ما أساس هذا التعارف والتآلف ؟

إن فكرة انشطار أو تفرق الشىء الواحد إلى أجزاء ثم حنين هذه الأجزاء ولذتها فى العودة إلى الأصل – هى أساس الحب فى الفكر اليونانى ، كما سبق أن عرضنا ، وهى أيضاً أساس الحب فيما نعرض الآن حيث قد عرف الفكر اليونانى فى الوسط الإسلامى ، ولكن الصورة الإسلامية لهذا الفكر لم تكن خالصة فى يونانيتها ، وإنما تناولها المسلمون بالتعديل والتغيير ، فبدلاً من أن تكون الصورة الإنسانية المشاهدة الآن فى كل أجزائها الجسدية والروحية تمثل شطر الإنسان الأول الذى كان على هيئة الكرة – تصبح هذه الصورة – عند المسلمين – ذات بعدين : بعد جسدى كامل – وبعد روحى كان على هيئة كرة ثم انشطر إلى نصفين

قسّما على جسدين . وفى ضوء هذه الصورة فهمت الآية الكريمة «هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها» على أن ابن حزم لا يرتضى هذا الرأى وإنما يذهب إلى أن الأرواح كانت مجتمعة فى عنصر علوى واحد ثم تفرقت على الأجساد ، وكل جزء حينما يلتقى بالجزء الذى كان مجاوراً له فى العالم العلوى يتعارفان ويتآلفان – ولكن هذا التعارف يتوقف على إزالة الغواشى والحجب المادية : فمن كان أكثر نقاء وصفاء فهو أسرع فى التعارف والتواصل ، ومن كان غريقاً فى ظلمات المادة فهو محجوب عن الرؤية بعيد عن التعرف – وهذا يفسر لنا عدم التساوى فى درجة الحب ، وهذا كما هو واضح تفسير صوفى .

ويستدل ابن حزم على صدق هذه النظرية بالآتى :

– لو كانت علة الحب هى حسن الصورة الجسدية لما حصل الميل إلى الأنقص فى الصورة مع وجود الأكمل ، مع أن هذا موجود ، فقد يحب الإنسان من هو أقل جمالاً فى الصورة مع وجود الأجمل منه ، فدل هذا على أن علة الحب ليست هى الجمال الجسمانى .

– لو كانت علة الحب هى الموافقة فى الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه ، لكن هذا حاصل بين المحبين ، فدل هذا على أن علة الحب لا تكمن فى الموافقة الأخلاقية .

– إن المحبة أنواع متعددة :

* أفضل أنواع الحب المحبة فى الله عز وجل «إما لاجتهاد فى

العمل ، وإما لاتفاق فى أصل النحلة والمذهب ، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان » .

* ومحبة القرابة .
* ومحبة الألفة والاشتراك فى الأهداف .
* ومحبة الصحبة والمعرفة .
* ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه .
* ومحبة الطمع فى جاه المحبوب .
* ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره .
* ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر .

كل هذه الأنواع من الحب ترتبط بعلتها وجوداً وعدماً ، وزيادة ونقصاناً : فهى تنقضى بانقضاء العلة ، وتزيد بزيادتها ، وتنقص بنقصانها ما عدا نوعاً واحداً من أنواع الحب وهو مقصودنا فى هذه الفقرة ، وأعنى به العشق ، فالعشق الصحيح باق ببقاء الإنسان ولا يفنى إلا بالموت ، يضاف إلى هذا : أن محبة العشق مصحوبة بأعراض وتغيرات نفسية وعقلية وجسمية وخلقية ، وذلك مثل : «شغل البال ، والخبل والوسواس ، وتبدل الغرائز المركبة ، واستحالة السجايا المطبوعة ، والنحول والزفير وسائر دلائل الشجا» والحزن — وكل هذه التغيرات والأعراض لا نجدها فى سائر أنواع الحب الأخرى . كل هذا يدل على أن محبة العشق إنما هى «استحسان روحانى وامتزاج نفسانى» ولكن إذا كان

الأمر كذلك ، فما بال أكثر العشاق إنما يعشقون الصور الحسنة ؟

يرد ابن حزم على هذا فيبين أن النفس جميلة تولع بكل شيء جميل ، وتميل إلى الصور المتقنة ، فإذا رأت بعضها مالت إليه فإن أدركت وراء هذا الجمال الحسي روحاً مشابهة لها اتصلت وحصلت المحبة الحقيقية ، وإن لم تدرك ذلك لم يتجاوز حبها الصورة ، وهذا هو الشهوة .

- والحب يتم بصور متعددة :

* أن يهوى المحب صورة يراها فى منامه ، وهو لا يعلم صاحبتها ولا أين مكانها ، وهذا كما يقول ابن حزم :

« من حديث النفس وأضغاثها » ويقرر ابن حزم أن هذا النوع من الحب قد شاهده .

* أن يهوى المحب صورة قد وصفت له دون أن يراها ، ويقرر ابن حزم بحق ، أن هذه الصورة من الحب بنيان هار على غير أساس لأن المحب قبل أن يرى المحبوب فإن له عنده صورة مثالية قد رسمها له الخيال ، فإذا رآه فإما أن يتأكد الحب أو يبطل بالكلية .

* أن يهوى المحب من أول نظرة ، وفى هذه الحالة قد تكون المحبوبة معروفة الاسم والسكن وقد لا تكون معروفة ، ولكن فى كلا الحالين الحب سريع الزوال ليس له قرار ، وهو فى حقيقته حب شهوة لا حب عشق ، إذ أن « جميع الأشياء أسرعها نموًّا أسرعها فناء ، وأبطؤها حدوثاً أبطؤها نفاداً » ولهذا فإن الحب الحقيقى لا يتم إلا بعد طول الملازمة

والمعاشرة وهذه هى صورة الحب الحقيقى .

قد يتوهم من هذا الكلام ، وهذا حق ، أن الحب ليس اتصالاً بين النفوس فى أصل عالمها العلوى ، كما سبق أن شرحنا ، ولكن ابن حزم يؤكد أن هذا الكلام يقرر ويقوى نظريته فى الحب ، ويشرح هذا بمنهج صوفى ، فيقرر أن النفس فى هذه الدنيا قد صنعت حولها الماديات حجباً كثيفة فسترت الكثير من صفاتها ، وإن كانت لم تغير من هذه الصفات ، والنفاذ من هذه الحجب للتعرف على صفات النفس يحتاج إلى وقت طويل نظراً لكثافة الحجب وكثرتها ، وأما ما يقع من أول نظرة بسبب الاستحسان الجسدى فليس شيئاً سوى الشهوة ، فإذا تجاوز الأمر حدود الشهوة ونفذ إلى أعماق النفس وعرف التشابه النفسانى حصل الحب الحقيقى وهو المسمى بالعشق ، وحب الشهوة وإن كان يعرف التعدد فإن هذا الحب لا يعرف إلا التوحد ، إذ أن نفس المحب ليس بها فضل ميل حتى تصرف به أسباب الدين والدنيا فكيف بالاشتغال بحب ثان ؟ ؟ على حد تعبير ابن حزم . ويؤكد ما سبق أن المحبوب إذا كان به عيب جمالى كالقصر أو اتساع الفم فإن هذه العيوب تنقلب فى ميزان الحب إلى محاسن فترى المحب يطلبها ولا يبغى بها بدلاً ، وقد وقع هذا كما يقول ابن حزم لأوفر « الناس قسطاً فى الإدراك ، وأحقهم باسم الفهم والدراية » .

* وللحب علامات يعرف بها المحبون وقد استوفاها ابن حزم وعقد لها باباً كاملاً ذكر فيه العلامات التى نشاهدها فى حياتنا العامة ونلمسها

واضحة بين المحبين .

* ثم يتحدث ابن حزم عن الحب بين الكتمان والاشتهار ، فيذكر أن كتمان الحب أمر ميسور فى بداية الحب ، أما بعد التمكن فإن علائمه تظهر فى حركات المحبين وعيونهم . ثم يتحدث عن أسباب الكتمان فيذكر منها :

– صيانة المحب نفسه عن الاشتهار بالحب بين الناس ، لأن الحب « بزعمه من صفات أهل البطالة » ويرد ابن حزم على هذا فيذكر أن المحبة خلقة وطبيعة ، إذ القلوب بيد الله عز وجل وليس فى استطاعة الإنسان أن يردها ويتفاداها وإنما يستطيع الإنسان فقط أن يعف عن محارم الله فلا يقربها .

– وقد يكون سبب الكتمان هو إبقاء المحب على محبوبه ، وهذا دليل على الوفاء وحسن الخلق .

– وربما يكون السبب فى الكتمان هو الحفاظ على جلالة قدر المحبوب .

– وقد يكمن السبب فى الحياء الغالب على الإنسان .

أما اشتهار الحب وإذاعته « وهو من منكر ما يحدث من أعراض الحب » على حد تعبير ابن حزم فله أسباب :

– منها التظاهر بمظهر المحبين ، وهذا خداع وتضليل .

– وقد يكون سبب الاشتهار غلبة الحب وسيطرته على زمام النفس

فلا يملك الإنسان له ستراً ، وفى هذه الحالة قد يكون الاشتهار سبباً فى نفرة المحبوب وهجرانه .

— وربما يكون السبب هو الانتقام من المحبوب لغدره وحصول الملل والكراهية له ، وهذا تصرف غير مقبول أخلاقيًّا .

* ثم يتعرض ابن حزم بعد ذلك لآفات الحب فيذكر منها : العاذل والرقيب والواشى .

* ثم يتناول وجوه العشق فيذكر الوصل والهجر والتجنى والوفاء والغدر والبين والقنوع والضنى والسلو .

* ثم يختم الكتاب بالتحدث عن قبح المعصية وعن فضل التعفف حتى يخرج الحب نظيفاً عفيفاً بعيداً عن الشهوة متدثراً بثياب الشريعة ، محوطاً برضا الله وعنايته .

الحب فى الشعر الفارسى

تبدى الحب فى الشعر الفارسى فى أشكال فنية ثلاثة هى .

١ - الغزل ٢ - الرسائل العشر ٣ - القصص والحكايات ، ولندرس الحب من خلال هذه الأشكال فنقول :

أولاً - الغزل :

إن كلمة الغزل : «مشتقة من أحد أصلين :

(ا) الغزل بمعنى التقرب والتودد إلى النساء ومحادثتهن .

(ب) الغزل بمعنى الفتور والرقة التى تصيب المتودد إلى النساء» هذا فى الاستعمال العربى ، ولا يكاد يخرج الاستعمال الفارسى عن هذا المعنى ، أما الاستعمال الفنى فإن الغزل عبارة عن : «منظومة قصيرة تتراوح بين سبعة أبيات وخمسة عشر غالباً ، وموضوعه الغزل أكثر الأحيان ، ويكون أحياناً غرضاً آخر من أغراض الشعر ، ويلتزم الشاعر ذكر لقبه الشعرى أو تخلصه ، كما يقول الفرس والترك . فى آخر بيت من الغزل» على أن التحديد بسبعة أبيات أو خمسة عشر إنما هو تحديد تقريبى وإلا فقد تتكون الغزلية من خمسة أبيات إلى اثنى عشر بيتاً . كذلك ذكر التخلص إنما هو أمر أغلبى وإن الشعراء لم يتعودوا على ذكر التخلص

إلا فى أزمنة متأخرة ، ويغلب على الظن أن ذلك تم بعد الفتح المغولى .

والعرب فى الأغلب لم يفرقوا بين النسيب والتشبيب والغزل ، يقول ابن رشيق فى كتابه العمدة : «التغزل والنسيب والتشبيب كلها بمعنى واحد . وإن الغزل إلف النساء والتخلق بما يوافقهن» . إذا كان الأمر عند العرب كذلك فإن الفرس لم يلتزموا هذا النهج وإنما فرقوا بين الاصطلاحات الثلاثة :

– فالنسيب عبارة عن الغزل الذى يُجْعل مقدمة فى قصيدة مسوقة لأغراض أخرى ، ومهمة هذا الغزل هو جذب انتباه السامعين وإيقاظ حواسهم وتوجيه انتباههم إلى الغرض الأصلى من القصيدة .

– والتشبيب عبارة عن غزل كامل يصور كل ما يرد بين العاشق والمعشوق من أحوال سواء كانت مرتدية ثوب العفة أو متبرجة تكشف عن وجه الشهوة واللذة .

– أما الغزل فإنه وإن كان يدور حول العشق والعشاق إلا أنه يلتزم العفاف والطهر ، وهذا النوع من الغزل ينظر إليه من جهتين :

(ا) جهة الحقيقة وفى هذه الحالة نقرأ فيه الحب العذرى .

(ب) جهة الرمز وفى هذه الحالة نقرأ فيه الحب الإلهى ، فى ضوء هذا نستطيع أن نقول :

– إن الغزلية قد تتكون من خمسة أبيات على حين أن القصيدة يشترط ألا تقل أبياتها عن سبعة .

– الغزلية لا تتجاوز فى الغالب خمسة عشر بيتاً ، أما القصيدة فتتجاوز هذا العدد .

– الغزلية تنتهى عادة بالتخلص أما القصيدة فلا يذكر فيها التخلص .

– الغزلية موضوعها الحب العفيف ، وهو فيها موضوع مستقل قائم بذاته وليس مقدمة كالنسيب .

– اشترطوا فى الغزلية لسمو غرضها أن تكون رقيقة الألفاظ سهلة المعانى بعيدة عن التكلف أو التعقيد ، كما اشترطوا أن تجىء على أوزان ذات رنين موسيقى تصلح للتلحين والغناء .

والدارس للأدب الفارسى عامة وللشعر خاصة لا يحتاج إلى كبير عناء فى استكشاف تأثر الأدب الفارسى بالأدب العربى ، إذ أن مفهوم الثقافة العربية لم يكن محدداً تحديداً إقليمياًّ وإنما اتسع ليشمل البلاد الإسلامية جميعها بحيث يمكن أن يقال عنها : إنها ثقافة إسلامية .

وقد أخذت اللغة الفارسية بعد القرون الثلاثة الأولى من الهجرة تشارك اللغة العربية فى حمل لواء الثقافة الإسلامية بحيث أصبحت اللغتان تحملان مضموناً فكرياًّ واحداً هو مضمون الثقافة الإسلامية . وإذا كنا لا ننكر دور الفرس فى المشاركة فى كشف أسرار وجمال البلاغة العربية ، فإن هذا سيقودنا بدوره إلى أن نؤمن بأن المتخصصين فى الثقافة الفارسية لم يجدوا غضاضة فى أن يحولوا مفهوم البلاغة العربية إلى لغتهم ، وبالتالى فإن الشعراء الفرس فى محاولة تكوين القصيدة الفارسية لم يجدوا

أمامهم تراثاً من لغتهم يمكنهم أن يسترشدوا به فاتجهوا نحو الشعر العربى يستلهمونه ويضيفون إليه ، ويكفى دليلاً على ذلك أن الشعر الفارسى يقال إلى الآن فى أوزان الشعر العربى .

ولكن بالرغم من أن الشعر العربى وقت بدايات الشعر الفارسى الإسلامى كان فى قمة نضجه واكتماله – فإن الشعر الفارسى فى الغزل وهو موضوعنا ، لم يحاول أن يبدأ من حيث انتهى الغزل العربى ، وإنما ابتدأ حيث ابتدأ هذا الغزل : فقد ابتدأ كمقدمات للقصائد ، إلى جانب ظهوره فى قطع صغيرة لا تكفى لخلق ظاهرة عامة وإنما إرهاصات أو مقدمات اتخذت شكل الظاهرة فى أواخر القرن الخامس الهجرى وأخذت تعيش بجوار الظواهر الأخرى كالمديح مثلاً حتى رجحت أخيراً على بقية الظواهر منذ أواسط القرن السادس الهجرى حيث ذاع التصوف وانتشر ، والتصوف هو المظهر الأسمى للعقل الفارسى فى ميدان الدين . وهو وإن عقدته العبارات والرموز إلا أنه فى الحقيقة والجوهر يقوم على فكرة بسيطة هى : «بعد النفس عن خالقها وماركب فيها من شوق إلى العودة والاندماج فيه» .

ونستطيع أن نذكر من بين الصوفية العظام الذين أثروا حركة الغزل فى الشعر الفارسى وساعدوا على انتشارها وتغلبها على بقية فنون الشعر الأخرى ، نذكر منهم : سنائى الغزنوى – وحافظ الشيرازى – وجلال الدين الرومى – وفريد الدين العطار – وعبد الرحمن الجامى .

ثانياً : الرسائل العشر :

يقصد بالرسائل العشر : الرسائل المتبادلة بين العاشقين ، وهى فى أغلب المنظومات عشر : خمس من العاشق ، وخمسة ردود من المعشوق على رسائل العاشق . وقد شاع هذا النوع من المنظومات ابتداء من القرن الثامن الهجرى ، وقد وصل إلينا من هذه المنظومات سبع ، هى بحسب ترتيبها التاريخى كالآتى :

١ - منطق العشاق : من منظومات أوحدى المراغى ، وعددها خمسمائة بيت ، وقد أتم نظمها فى يوم السبت الموافق عشرين من رجب سنة ست وسبعمائة هجرية .

ولم ينظم أوحدى هذه المنظومة انبعاثاً من تجربة مر بها ، وإنما صاغها استجابة لطلب خواجه وجيه الدين يوسف بن أصيل الدين بن خواجه نصير الدين الطوسى .

٢ - عشاق نامه : نظمها عبيد زاكانى ، وعدد أبياتها سبعمائة بيت ، استغرق نظمها كما يقول عبيد أسبوعين ، وانتهى من تأليفها فى الثانى من رجب عام واحد وخمسين وسبعمائة .

٣ - تحفة العشاق : نظمها ركن صاين الهروى ، وعدد أبياتها خمسمائة بيت ، وقد انتهى من تأليفها فى شهر شوال عام واحد وخمسين وسبعمائة .

٤ - محبت نامه : نظمها فضل الله بن نصوح الشيرازى ، وهذه المنظومة

مازالت مخطوطة وتوجد منها نسخة فى مكتبة نور عثمانية بإستنابول.

٥ – **روضة المحبين** : نظمها ابن عماد ، وتقع فى سبعمائة وستين بيتاً ، وقد انتهى الشاعر من نظمها فى شهر ربيع الأول عام أربعة وتسعين وسبعمائة هجرية ، وقد بين الشاعر فى أبيات تدل على أستاذيته الشعرية – السبب فى نظم منظومته فقال :

(جلست ذات ليلة مباركة ، وأغلقت الباب فى وجه القاصدين وتجاوزت عن حسنات الدنيا وسيئاتها ، وثملت من خمر الفكر حتى أدقق ببصيرتى فى كيفية نظام خلقه).

٦ – **محبوب القلوب** : نظمها الشيخ سعد الدين الحريرى تلميذ عصار التبريزى ، عدد أبياتها ألف بيت ، انتهى من تأليفها فى أوائل شوال عام ثمانمائة هجرية.

٧ – **روضة العاشقين** : نظمها عزيز البخارى ، وتقع فى ألفى بيت ، ومازالت هذه المنظومة مخطوطة لم تنشر بعد ، ويغلب على الظن أنها قد ألفت فى القرن التاسع الهجرى.

هذه هى منظومات الرسائل العشر التى وصلت إلينا وهى تتشابه كلها فى المضمون العام وفى الصناعة الشعرية ، ومن خلال خلاصة لنموذج كامل ، مع ترجمة مختارات منه وليكن من منظومه (محبوب القلب) سنحاول التعرف على هذا المضمون ، وعلى هذه الصناعة الشعرية :

الرسالة الأولى من العاشق إلى المعشوق ، وفيها يقول العاشق :

أيها القمر المنير بنور القلب لقد أضئ منك كوكب قلبى
إنك ذلك السرو الباسق ، وذلك القمر الذى خادمه الشمس
أيها الشمع المنير أنصت إلىّ فإننى أريد أن أوضح لك أحوالى
ماذا أقول وقد صرت أسيراً لك ؟ عاشقاً فقيراً يتضرع إليك
ينصرم ليله ونهاره ويسبب دموع عينيه لايقر له قرار فى ليل أو نهار
لقد رآك يوماً فى الطريق فسلبت قلبه غمزاتك .
ومال على سروك بمائة روح حينما غاص سروه فى الطين
والآن يرغب القلب أن تجتث مرضه ، فانظر إلى أمره بعينيك نظرة
أعط الخمر لقلبه فإنه عاشقك ، وخذ بيده فإنه متعثر من أجلك
حيثما أترنم بأنشودة العشق فى الخيمة يخرج سرى منها
إن إخفاء عشقك فى سرائر النفس خيال ، كما أنه من المحال إخفاء الشمس بالطين .
كيف يستطاع إخفاء عشقك ؟ وهل يجوز إخفاء النار فى الغاب ؟

إرسال الريح برسالة :

حينما أمضى العاشق ليله ونهاره فى الهجر طلب فى الصباح رسولاً ولم يكن هناك أكثر وقاراً من الريح فأرسله لهذا الأمر الخطير وقال ملاطفاً له : يا من روحى فداء لك ، إنك تعطيني النضارة لقلبى من هوائك إنك علاج لروح المتألمين ، وإنك واسع العطاء للأسرى والمكبلين .

فاكشف النقاب عن وجه الورد وأظهر جماله للبلبل .
حينما صاحبك صباحاً ومساء عرف المسك برائحته الذكية .
فلا تسترح واذهب مسرعاً إلى ذلك الهادئ النفس والروح .
لقد امتحنت فى هذا الأمر كثيراً فلم أر أكثر احتراماً منك .
بلغ رسالة شوق إلى هذا المعشوق بسرعة وبكل وسيلة تعرفها .
فإنك تسرنى إذا بلغت رسالتى ، جعلت فداء لأقدامك .
وفى الحال اتخذ الصبا عدة الطريق واستعد للأمر مثل الرسل .
وحينما رأيت منه مفتاح الفتح أسرعت وقرأت الفاتحة عليه .

تبلغ الريح الرسالة للمعشوق :

حينما حمل نسيم الصبح الرسالة سلمها فى يد الحجاب .
فنظرصاحب الجسدالملائكى إلى الرسالة ، فقد مهرت بخاتم العاشق.
وقرأ كل رسالة شوقه ومن ياقوته نثر عليها الجوهر .
وحينما وقف على آلام العاشق اضطرب وقال للريح مسرعاً .
أيها العابث عد مسرعاً واجلس مستريحاً .
إنك نشرت سر المسك فى الصحراء والآن فقد أتيت من أجل ذوائبى .
فمن جورك فى داخلى شمع محترق ، وبسببك يمتلئ قلب براعم الورد بالدماء .

ولقد جلست خلف ستائر العصمة وأغلقت الباب والنوافذ على الشمس .

إنك تصر بشدة على تدليل العاشق ، وقد أسأت إلى اسمى فى العالم .

خلاصة الكلام :

أيها العاشق إذا كان لديك تحمل فإن الورد يتفتح بسرعة من وخز الشوك . إذا كنت تبحث عن الوصل فلا تهتم بغم الهجران ولا تبرح المكان بسبب الظلم لو كنت حبيبه .

وإذا كان محبوبك حلواً فاستمع إلى قصة مريرة فإن آخر الفاكهة الجديدة يصير حلواً .

* بالتأمل فى النموذج الذى عرضنا مختارات منه نجد أن الصنعة الشعرية قد سارت على النحو التالى :

– رسالة على لسان العاشق يبث فيها هواه للمعشوق ، ويبين فيها جمال المعشوق فيذكر وجهه وغمازته وقده وشعره ، وكل هذا قد أضاء قلبه إلى الحب وجعله أسير الهوى : يواصل الليل بالنهار ساجاً فى دماء الدمع – ولقد انتشر خبره بين الخلائق إذ أن العشق دائماً فضاح لا يملك الإنسان له ستراً أو دفعاً .

– بعد هذا ينتقل الشاعر فيذكر غزلية يتحدث فيها عن انشغال الفكر بالمحبوب وخضوعه له وتمنيه القرب منه ، ثم يختم الغزلية بالتعرض

لقصة يوسف عليه السلام وأن رؤيته فيها قوة للروح .

– ثم ينتقل إلى حكاية تؤكد ما ختم به الغزلية .

– بعد هذا يتحدث عن حقيقة الكلام ويبين قاعدة العشق المستفادة من الحكاية .

– ثم ينتقل من ذلك إلى تخير العاشق رسولاً له ، وفى هذا النموذج قد اختار الريح وهو يبدأ بملاطفته ثم يثنى ببيان المطلوب منه .

– ثم يردف هذا الكلام ببيان واقع العاشق الأليم .

– ثم يتحدث عن وصول الرسالة وغضب المعشوق من الرسول ثم رده القاسى على رسالة العاشق .

– وأخيراً ينتهى بخلاصة للكلام يوصى فيه العاشق بالتحمل ويبين له أن عاقبة العسر لابد أن تكون يسراً وطوبى للصابرين .

وعلى هذا النحو المشروح سار هذا المقطع الدائر حول إحدى الرسائل ، وبنفس النظام والصنعة تسير الرسالة التالية وهكذا . ومن الملاحظ أن الرسول فى هذه الرسالة يمثل عنصراً من عناصر الطبيعة ، وقد يكون فى بعض الرسائل حيواناً كالصقر أو العقاب ، وقد يكون بعض الأدوات المتصلة بالتجميل كالمرآة أو المشط . ومما يجب أن يلاحظ أيضاً أن قسوة المحبوب وصلفه وغروره فى الرد مثل قوله فى منظومة عبيد زاكانى :

أين تجد نور وصلى ؟ ومتى تعرف الملاك على الشيطان ؟

ومتى تساوى الصعاليك مع الملوك ؟ ومتى احتضن السرو الحشائش ؟

إنك فراشة وأنا شمع القلوب المضىء ، ومتى اجتمع الشمع مع الفراشة المحترقة ؟

ثم يقول :

لا تتجرأ على عيونى الثملة فإن قنص الأسود لا يكون من الثعالب .

كل من لا يعرف قدر نفسه يفقد فجأة كل ما يملك .

وكيف وأنت المتسول المسكين تصل إلى وصل مثلى وأنا الملكة المتوجة .

أيها المجنون الذى تسمى نفسك عاشقاً ، هل تتجرع شراب أشواقى من الكأس ؟

ألم تسمع أيها المخبول أنه ليس للفراشة طاقة على النور؟

هذا الصلف والغرور ليس صلفاً حقيقياً أوغروراً واقعياً وإنما هو امتحان واختبار للعاشق .

يقول المحبوب فى منظومة عبيد :

بحرص شديد قالت : أيها الصديق الشفيق اذهب وائت بهذا المتعب القلب

وإذا كنت قد تدللت أحياناً فإننى كنت أمتحن فتوته فى الوفاء .

وعلى غرار هذا النموذج تسير المقاطع فى جميع المنظومات وهى تقلد فى ذلك الأوحدى حيث يرتب مقاطعه كالآتى :

١ — رسالة على لسان العاشق أو المعشوق .
٢ — غـزل .
٣ — مثنوى أو فرد .
٤ — وقوف المعشوق على حال العاشق ووصول رسالة كليهما للآخر .
٥ — خلاصة الكلام .
٦ — حكاية .
٧ — تمام الكلام .

وقد أوردت ترجمات موجزة لهذه النماذج ولم أذكر بعضها وذلك لضيق المساحة المخصصة لهذا البحث كما ذكرت فى البداية .

ثالثا – قصص الحب وحكاياته :

لا نقول : إن الفرس قد اهتموا بالقصة الشعرية ، وإنما نقول : إنهم قد أولعوا بها ولعاً جعل القصة الواحدة يتناولها أكثر من شاعر ، فمثلاً قصة يوسف وزليخا وهى من القصص ذات الأصل الدينى ، وقصة ليلى والمجنون وهى من القصص ذات الأصل العربى – هاتان القصتان قد تناولها بالنظم أكثر من شاعر : فقد تناول ليلى والمجنون كل من : نظامى ، والأمير خسرو الدهلوى ، والجامى ، ومكتبى ، وهاتفى ، ونامى ، كذلك تناول يوسف وزليخا كل من : الفردوسى ، والجامى ، وآذرى ، وناظم الهروى . وهذا الولع بالشعر القصصى مع توفر عنصر

الأصالة وامتلاك الأداة الفنية – جعل من الشعر القصصى عند الفرس «قالباً فنيًّا توافر له كثير من النضج الفنى حتى ليقرب فى أهدافه وطريقة تصويره ورسم شخصياته من القصص فى العصور الحديثة على الرغم من قدم العصور التى ألف فيها» ويجب أن نلاحظ أن الحكاية الفارسية تعتمد فى الأساس على الفكرة ، أما الرواية فإن المحور الأساسى فيها هو الشخصية . وهذا الضرب من الفن قد امتاز به شعراء الفرس على شعراء العرب كما يقرر ذلك ابن الأثير فى خاتمة كتابه : المثل السائر .

ونستطيع أن نقسم قصص الحب وحكاياته فى الشعر الفارسى إلى الآتى :

(ا) قصص أصلى صيغ بكامل أجزائه فى موضوع واحد هو الحب مثل : قصة يوسف وزليخا .

(ب) قصص فرعى لا يمثل إلا جزءاً من بناء فنى متعدد الجوانب مثل قصص الحب فى الشاهنامة كقصة زال وروداية .

(حـ) قصص توضيحى وهو عبارة عن حكاية صيغت لتجسيد وتوضيح فكرة من أفكار الحب فى نطاق عرض كامل لنظرية شاملة مثل : حكايات الحب الموجودة فى المثنوى لجلال الدين الرومى وفى نطاق هذه الأقسام سنتناول بالدراسة بعض النماذج البارزة ، ومن أهمها : قصة يوسف وزليخا كنموذج للقصص الأصلى ، وقصة زال وروداية كمثال للقصص الفرعى ، ثم قصة عشق ملك لجارية كنموذج للقصص التوضيحى .

(ا) من قصص الحب الأصلى : قصة يوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامى :

هذه القصة هى أحسن القصص على حد التعبير القرآنى « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » وقد نظمها الجامى سنة ٨٨٨ هـ فى قالب المثنوى ، ويقرب عدد أبياتها من أربعة آلاف بيت ، والحقيقة أن الجامى لم يقتصر على عرض الجانب الصوفى وهو الجانب الجديد فى صياغة الجامى للقصة . ولكنه تناول ألواناً متعددة من الحب : فقد تناول حب الأقرباء مثل حب الآباء للأبناء وحب العمات لأبناء الإخوة ، كما تناول حب المرأة للرجل أو ما يعرف فى لغة الصوفية بالحب المجازى ، وقد استغرق هذا النوع من الحب أغلب المنظومة ، ثم تختم المنظومة بالحب الصوفى ، وإن كنا نلمح هذا النوع من الحب بادياً فى كثير من أجزاء المنظومة . ولكنه لا يجىء كجزء رئيسى وإنما كتعليق على المواقف أو مقدمات لها . ولقد وجد الجامى وهو من أصحاب اللسانين : العربى والفارسى ، عندما أراد نظم هذه القصة ، تراثاً ضخماً يتعلق بها ويتمثل فى المصادر الآتية :

١ - المصدر اليهودى ويتجلى فى التوراة ، والإسرائيليات كما ذكرها كل من كعب الأحبار ووهب بن منبه .

٢ - المصدر الإسلامى ويتمثل فى : القرآن الكريم ، وكتب

التفسير العربية كتفسير الطبرى (٣١٠ هـ) والبغوى (٥١٥ هـ) والفخر الرازى (٦٠٦ هـ) والخازن (٧٢٥ هـ) وابن كثير (٧٧٤ هـ)، ومثل كتب التفسير الفارسية كتفسير أبى بكر عتيق بن محمد سور آبادى (عاش فى القرن الخامس الهجرى).

٣ – المصدر الأدبى الفارسى ويتمثل فى المنظومة المنسوبة للفردوسى ومن قبلها، كما يذهب البعض، منظومة كل من أبى المؤيد البلخى والبختيارى، وفى التراث النثرى نجد أبا عبد الله الأنصارى الهروى (٤٨١ هـ)، فقد كتب قصة يوسف وزليخا نثراً. ولنتناول منظومة الجامى بالشرح والتحليل فنقول: يعالج الجامى، أول ما يعالج من قضايا صوفية مهمة، قضية: علاقة العشق والجمال بالألوهية والعالم:

– لقد كان الله تعالى ولم يكن شىء، وكان هو الجمال المطلق، الخالى من قيد الكثرة، يتجلى بنوره على ذاته فكان هو العاشق والمعشوق والمحب والمحبوب.

(كان وجوداً بعيداً عن الثنائية منزهاً عن قول: أنا وأنت فهو جمال مطلق من قيد المظاهر لا يتجلى بنور ذاته إلا على ذاته كأنه معشوقة جميلة فى حجلة الغيب ذيلها مبرأ من التهمة والعيب).

ولذلك جعل الحق من كل ذرة من ذرات العالم مرآة يظهر فى كل صفحة من صفحاتها وكانت قبسات شعاعه هى المحرك للعشق فى كل الموجودات:

(وسقط من تلك اللمعة أضواء على الورد فاضطربت منها روح البلبل واشتعل الشمع من نار وجنته فاحترقت منه فى كل منزل مئات الفراش ومن حرارة ذلك النور اتقدت الشمس فأخرج النيلوفر رأسه من الماء ومن وجهة ازدان وجه ليلى بالجمال فابتلى المجنون بكل شعرة فيها وجعل شفة شيرين تنفرج عن سكر مذاب فسلبت قلب برويز وروح فرهاد وأطل محياه من جيب قميص قمر كنعان فأورد روح زليخا مورد الهلاك).

– وعلى هذا فعشق أى شىء جميل إنما هو عشق لله تعالى :

(فالقلب العاشق للحسان عاشق لله تعالى ، عرف ذلك أم جهل فحاذر الخطأ ولا تقل : منا العشق ومنه الجمال).

وبهذا يتضح أن الجميل مرآة ، والحق هو المزين لهذه المرآة ، وجسم المرآة لا يظهر وشعاع الحق هو الظاهر :

(فما أنت إلا مرآة وهو المزين لها ، فأنت المختفى وهو الظاهر)

ولكن لو تعمق الإنسان المسألة وعرف أن كل شىء فى الوجود حسن ، وأن الحسن إنما هو تجل لوجه الحق سبحانه – أدرك أن الحق هو المرآة وهو المزين لها ، إذ الكل تجلياته سبحانه ، فلقد سبق أن قلنا : إن الله تجلى فى كل ذرة من ذرات العالم :

(ولو أمعنت النظر لوجدته المرآة أيضاً ، وليس هو الكنز فقط ، بل إنه الخزانة كذلك).

وتفسير ذلك :

(ولو فكرت جيداً لوجدت أن كل ما هو جميل ليس إلا انعكاساً لوجهه) .

ولخطورة هذه القضية وصعوبة فهمها على العقل الإنسانى يقول الجامى :

(وليس لى ولك شأن فى هذا الأمر ، ولا نملك إلا خيالاً عابثاً فالزم الصمت فليست لهذه القصة نهاية ، ولا يوجد لسان فصيح ليشرحها وخير لنا أن نتمسك بالعشق ، فنحن بدون هذا الحديث : لا شىء . . لا شىء) .

* ويتحدث الجامى عن فضيلة العشق ، ويجعله مناط الإنسانية وحرفة الواصلين ، وأساس الحركة فى الكون ، ومنبع الفضائل والسعادة والشهرة والخلاص من سوءات النفس :

(ليس قلباً من خلا من ألم العشق ، وكل جسد فارغ من ألم القلب ليس إلا ماء وطينا .

فحول الوجه من العالم إلى هموم العشق فإن عالم العشق عالم لطيف .

فلا خلا من العشق قلب إنسان ، ولا وجد فى العالم قلب خال منه .

فكن أسير العشق فإنه صناعة كل الواصلين) .

ولكن هل المقصود بالعشق عشق المرأة أم عشق الإله ؟ إن الجامى يتوجه بالدعوة إلى كلا النوعين ، لأن حب المرأة أو الحب المجازى بلغة الصوفية لا بد منه فى الحب الإلهى أو الحب الحقيقى على حد التعبير الصوفى .

يقول الجامى :

(فلا تحول الوجه عن العشق ولو كان مجازاً فإنه معبر إلى بحر الحقيقة فطالما لم تقرأ أولا فى اللوح الألف والباء فمتى تستطيع أن تقرأ فى القرآن ؟) .

* يفتتح الجامى قصة يوسف بلمحة خاطفة عن يوسف تتناوله منذ آدم حتى كفالة أبيه يعقوب :

– لما خلق الله آدم عرض عليه صورة أولاده واصطفهم صفوفاً : الأنبياء ثم الأولياء ثم الملوك ثم عامة الخلق . ولقد استوقف نظر آدم جمال يوسف الفائق فسأله عنه : فجاءه الجواب :

(إنه نور عينيك ، وواهب الفرج لقلبك المهموم .

فهو غصن من بستان يعقوب وغزال من صحراء خليل الله .

يتجاوز إيوان جاهه السماء السابعة ويكون له عرش مصر .

كما يثير حسد حسان الدنيا شدة جمال وجهه .

ويجعل وجهك مرآة له فامنحه ما فى خزانتك) .

فيهبه ثمانية أتساع الجمال ويترك التسع فقط للحسان ، ثم يضمه إلى صدره ويباركه ويطبع على جبينه قبلة أبوية .

– ولقد كان آدم عليه السلام أول الرسل ، ثم تلاه إدريس ثم نوح ثم إسحق ثم يعقوب ، وكان ليعقوب اثنا عشر ابناً ، كان ثامنهم يوسف عليه

السلام ، ولقد احتضنته أمه عامين ثم ماتت . فكفلته عمته وتعلق قلبها به ، وكان أبوه يعقوب أيضاً شديد اللهفة عليه ، فطلبه من أخته فأظهرت الطاعة وأضمرت الحيلة فى إبقائه ، وكان عندها منطقة لإسحق تنجى من تمنطق بها من آفات الدنيا . فمنطقت بها وسط يوسف دون أن يدرى ، ثم صاحت بين الجميع تعلن فقدان المنطقة وبدأت تفتش ملابس الجميع حتى جاء الدور على يوسف ففكتها من فوق خصره ، وكانت الشريعة فى تلك الأيام تعطى صاحب المتاع المسروق الحق فى استرقاق السارق ، ومرة أخرى عاد يوسف إلى عمته وكان الحب بلاء عليه فقد انتهى به إلى تلفيق تهمة السرقة ، وظل يوسف عند عمته حتى ماتت ، فكفله والده يعقوب ولجماله آثره على إخوته بالعطف والرعاية . وإلى هذا الحد يتوقف الجامى عن الحديث عن يوسف ويبدأ بالحديث عن زليخا :

لقد كان ببلاد المغرب ملك مشهور اسمه «طيموس» وكانت له ابنة جميلة اسمها «زليخا» : قامتها نحيلة ، وشعرها المسكى شرك للعقلاء ، وفرقها ينفطر منه قلب النافجة ، وكأن ضفيرتيها هنديان من صانعى الحبال يتأرجحان فى شمشادها الباسق ، وجبينها لوحة فضية عليه حاجبان كأنهما نونان مقلوبتان من المسك الخالص ، وتحتهما عينان كأنهما صادان ، وما بين النون إلى حلقة الفم كالميم رسمت أنف فضية كالألف :

وقد زاد على الألف صفر الفم فضاعف فتنة الدنيا مرات ومرات .

وتبدو للعيان سينها من ياقوتها الضاحك إذا فكت عقدة ميمها بأسنانها .

ثم يضيف الجامى زينة زليخا وحليها وأثوابها ونعيمها وسعادتها وبعدها عن أحزان العشق ثم ينتقل إلى بداية قصة حبها : فى ليلة ساكنة بهيجة غمضت فيها عينها المبصرة وفتحت فيها عين قلبها — رأت شابًّا : قامته باسقة كالشمشاد النضر وجبينه يتوهج نوراً وحاجبه محراب الطاهرين وكأنه مظلة معنبرة تظلل الوسنانين ، ووجنته قمر سكن برج القوس فى حاجبه ، وعيناه مكحلة بكحل الدلال وأهدابه ضاربة بالسهام فى الأكباد .

(وحينما فتحت زليخا عينها على وجهه وقع لها ماوقع من نظرة واحدة) .

وأصبحت أسيرة لحسن صورة يوسف ، وكانت إذ ذاك فى عامها السابع وكان عشقها عشقاً مجازيًّا ومن ثم نرى الجامى يقول :

(فلو أنها عارفة بذلك المعنى لكانت إحدى الواصلات على الطريق .

ولكن لأنها ليست عارفة فى البداية فإنها كانت أسيرة الصورة) .

وتصاب زليخا بآلام العشق ولكنها تتذرع بالصبر ، فتسمر وتبتسم ولكن قلبها يتمزق وليس فى عينيها إلا صورة الحبيب .

(فغير الحبيب لا أمنية لها ومع غيره لا قرار لها

فلو تتحدث فمع الحبيب الحديث ولو تبحث عن مراد فعن الحبيب تبحث) .

وكانت تنتظر الليل لأنه أمين على أسرار العاشقين بخلاف النهار إذ هو ممزق للأستار ، وكانت تناجى طيف حبيبها وتستعطفه حتى يدلها على اسمه أو مكانه أو من يعرفه ، ثم تتوسل إليه بما فعله العشق بها من تلف بعد أن كانت وردة نضرة شابة لم تعرف الآلام لها طريقاً ، وتظل هكذا حتى السحر ، فإذا انقضى الليل حاولت أن تخفى آثار عشقها ، ولكن أنى للعاشق أن يتحكم فى نفسه ؟ وحقًّا قال الحكماء : «لا يمكن إخفاء العشق والمسك» ومن ثم كان العشق يطل برأسه كل لحظة من موضع : كان يطل من دموعها المنهمرة ومن دخان آهاتها الصاعدة إلى السماء : (وفى كل آهة تخرج من قلبها كانت الخلائق تشم رائحة شواء قلبها منها) وكان العشق يطل أيضاً من وجهها نتيجة الحرمان من النوم والطعام .

فلما رأت الجوارى هذه العلائم احترن فى تفسير أمرها : أهو الحسد ؟ أم السحر؟ أم مس من الشيطان ؟ أم هو العشق ؟ وبرغم الحديث والجدال فقد ظل الأمر سرًّا . وكان لزليخا مربية ساحرة خبيرة بالعشق فقد مارسته عاشقة ومعشوقة وكانت بسحرها تصل العاشقين وترقق قلب المعاندين . وذات ليلة أقبلت على زليخا وذكرتها بخدماتها وأفاضت فى حكاية ذلك ، ثم سألتها عن سبب احتجاب سر قلبها عنها ، وبحنان استمرت فى السؤال عن أسباب التغيرات التى ألمت بها من اضطراب وتألم واصفرار ثم كفتها عناء الجواب ، وأجابت بأنها تعرف يقيناً أن سبب ذلك هو العشق ، ولكن من هو المعشوق ؟ إنها تستطيع بسحرها أن تسحر

المعشوق ولوكان شيطاناً . فلما رأت زليخا ذلك الحنان وتلك القدرة على السحر لم تربدأً من مصارحة مربيتها بكل شيء . ولكن المربية حارت فى العلاج لأن المحبوب مجهول ومن المحال طلب المجهول ، فبدأت المربية تفسر الأمر على أنه خداع من الشياطين ولكن أى قدرة للشيطان فى أن يبدو فى مثل حسن ما رأت زليخا ؟ ؟ فذهبت إلى أنه أضغاث أحلام ، ولكن كيف تهلك الروح فى سبيل الكذب ، وكيف تختطف الصادقين بهذه الصورة رؤيا كاذبة . فلما رأت المربية رسوخ قدمى زليخا فى العشق لم تملك إلا إسداء النصيحة ، وأطلعت والد زليخا على السر ، ولكن لعجز الوالد أسلم أمره ليد المقادير .

— وتدخل زليخا فى طور ثان من أطوار العشق ، وأعنى به طور نفاد الصبر والعقل ، والتعود على الملام : فى ليلة من الليالى كانت تناجى الفلك وتشكو ما أصابها من جراء حبيب يضن عليها حتى برؤياه فى المنام ، وبينما هى كذلك إذ يخطفها النوم (وما كان ذلك نوماً بل كان فقدان وعى) فترى خيال حبيبها للمرة الثانية ، وتلقى برأسها تحت قدميه وتقبل الأرض وتسأله بحق من وهبه الجمال أن يرحم روحها ، وأن يخبرها عن أصله ومكانه ، فيجيبها بأنه آدمى ، ويأخذ عليها العهد ألا تتزوج وألا تبيح عفتها لأى إنسان ، إذ هو أيضا أسير شراكها وهدف لجراح عشقها . فحينما سمعت ذلك ازداد حزنها ، وأفلت منها زمام العقل وتحررت من قيد النصيحة والمشورة ، وأخذت تمزق وجهها وتقتلع شعرها

حينما تتذكر وجه الحبيب وشعره ، وتتحين الفرص فتنطلق هائمة على وجهها فى السهول والأسواق دون حجاب أونقاب ، فلم يروالدها – بعد أن فشل العلاج الطبى – بداً من قيدها بالسلاسل ، وتستسلم زليخا لقدرها . ومن خلال دموعها تشكو الظلم الذى أصابها وتقول : كان الأجدى أن تكبل قدم المحبوب حتى لا يغيب عن عينى ، ولكنها تستدرك وتقول : (أهون علىّ أن أطعن بمائة سيف فى قلبى ، ولا تلمس شوكة ذيل الحبيب) . وتفقد الوعى زمناً ثم يعود لها الصواب وتارة تبكى وأخرى تضحك ، ومرة تموت وأخرى تصحو ، وهكذا الحال عاماً كاملا .

ويزكى الجامى هذا الموقف ويمدحه فيقول :

(ما أسعد ذلك القلب الذى يستقر فيه العشق فيجعله غافلا عن أمور عالمه .

فإنه يضىء فيه برق لامع ، يحرق بيدر الصبر والوعى .

ولا تبقى به أحزان السلامة ويصبح جبل اللوم عليه قشة .

وتتعود روحه اللوم وباللوم يتقدم عشقه .)

ثم تدخل زليخا فى طور ثالث من أطوار العشق ، وهو طور العودة إلى العقل بعد الجنون : ففى ليلة من الليالى حين تناجى طيف حبيبها وتشكو له ما أصابها من أجله ، وهى لا تعرف اسمه أو مكانه ، يختطفها النوم فترى حبيبها للمرة الثالثة فتستحلفه بخالقه أن يكشف لها عن اسمه ومدينته فيخبرها بأنه عزيز مصر ومصر مكانه ، فلما عرفت ذلك عادت إلى

جسدها القوة ، وإلى قلبها الصبر ، وإلى كيانها العقل ، وعلى أثر ذلك فك قيدها وعادت طليقة حرة ، وأصبح سلواها وشغلها الشاغل هو الحديث عن المدن حتى تسوق الكلام عن الحبيب ودياره . يقول الجامى مستخلصاً طبيعة الحب من الطورين السابقين :

(تعال أيها العشق المليء بالسحر والخداع ، فإن عملك تارة يكون عشقاً .

وأخرى يكون حرباً . أحياناً تجعل العاقل مجنوناً وأحياناً تجعل المجنون عاقلاً .

وحينما تضع على غدائر الحسان السلاسل فإن العاقل يسقط فى أصفاد الجنون .

ولو فككت من تلك الغدائر خصلة لوجدت مصباح العقل مضيئاً) .

* ثم يأتى رسل الملوك يخطبون زليخا من أبيها ولكنها لا تقبل إلا حبيبها عزيز مصر إلا أنه لم يرسل رسولا لخطبتها فيضطر والدها – نزولا على رغبة العشق حتى ولو كانت مجافية للتقاليد والعادات – يضطر أن يرسل رسولا إلى عزيز مصر يعرض عليه الزواج من ابنته زليخا ، فيتقبل عزيز مصر هذا العرض بالفرح والسرور ، ويسير موكب زليخا إلى مصر وينهض العزيز وجيشه لاستقبال الموكب ، وتحتال زليخا حتى ترى العزيز ، ولكنها تفاجأ بأن العزيز ليس هو حبيبها الذى رأته فى منامها فيزداد بكاؤها ، وتمرغ وجهها فى التراب ، وتناجى الفلك وتسأله

الرحمة ، حتى تفى بوعدها لحبيبها وهو أن تصون عفتها إلا عن حبيبها ، فيناديها هاتف الغيب فجأة :

(ارفعى وجهك عن التراب فسيسهل أمرك بعد العسر

إن عزيز مصر ليس مقصود قلبك ، ولكن المقصود لن يتحقق بدونه

فيه سترين جمال الحبيب ، وعن طريقه ستصلين إلى مقصودك) .

وتسجد زليخا على الأرض شكراً ، وتكف عن النواح والصياح ، وتصل إلى مصر وتستقبل استقبالا عظيما وتعيش فى عز العزيز ، ويبذل فى سبيل راحتها كل شىء ، ولكنها لا تعيش مع الناس إلا بجسدها ، أما قلبها فأسير لحبيبها ، وفى الليل تعزف لحن نواحها على رباب المحنة ، وتناجى طيف حبيبها ومن مناجاتها :

(ما أطيب الوقت الذى تبدو فيه أمام ناظرى مزيناً الطريق كأنك القمر .

حينما أشاهد طلعتك أفنى وأطوى بساط وجودى .

ولذهولى أترك التفكير فى مقصودى وفى أمر نفسى .

لن ترانى فى مكانى مرة أخرى ، وحينما تحضر ستستقر فى بدنى كالروح .

وأطرح جانباً خيال نحن وأنا فإنى أجدك حين أبحث عن ذاتى .

أنت أمنيتى فى الدارين وحينما أجدك فماذا أقول عن نفسى ؟ !) .

وقبل أن نتابع أحداث القصة نحب أن نقف أمام هذا المقطع من

المناجاة : لقدسبق أن عرفنا أن الجامى يقرر أن عشق زليخا ، على الأقل فى الابتداء ، كان عشقا مجازيًّا ، وهذا المقطع من الأبيات يدل على الوحدة لا بمعنى الاتحاد أو الحلول ، إذ كيف يتأتى هذا فى العشق المجازى ؟ إنما بمعنى الذهول عن الذات والاستغراق فى المحبوب وهو ما يعرف فى الاصطلاح الصوفى بوحدة الشهود .

ثم نتابع أمر زليخا فنجدها تقضى ليلها حتى السحر فى مناجاة طيف حبيبها ، ومع نسيم السحر كانت تحمل الرياح هذه الرسالة :

(هبى يا رياح السحر وانثرى عبير المسك فى جيب الياسمين .

وزينى متنزه السرو والسوسن ، والمسى بجدائل السنبل النضرة محيا الورد .

إنك تحركين جلاجل أوراق الأغصان فترقص الأشجار وجذورها فى الطين .

احملى رسالة العاشقين إلى المعشوقين وامنحى الراحة للعاشق) .

* إلى هنا يتوقف الجامى عن الحديث عن زليخا ، ويعود ليستأنف الحديث عن يوسف فيذكر حب سيدنا يعقوب لابنه يوسف ، وإيثاره بهذا الحب دون بقية الإخوة ، ثم يذكر حلم يوسف وما رأى فيه من أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، لكن يعقوب يخشى على يوسف من إخوته فيأمره بعدم قص رؤياه عليهم ، لكن الخبر يصلهم فتزداد غيرتهم ، فيجمعون أمرهم على التخلص منه حتى يخلو لهم وجه أبيهم ،

وينتهى بهم الأمر إلى إلقائه فى غيابة الجب ، وتأتى بعض القوافل ويلقى بعض أفرادها دلوه فى البئر فيخرج القمر فى الدلو ، لكن إخوة يوسف يعلمون بنجاته ، فيذهبون إلى القافلة ويدعون أن يوسف إنما هو عبد آبق ، ويساومون على بيعه فيشتريه من أخرجه من البئر بثمن بخس ، ويتجه به صوب مصر ، ويعلم بالأمر ملكها ، فيرسل العزيز فى طلب يوسف . وكانت زليخا فى هذا الوقت هائمة فى الصحراء لكنها أحست بشوق شديد إلى العودة إلى المنزل ،وما إن سارت فى هودجها حتى وجدت نفسها مشدودة إلى ساحة قصر الملك . وما تدرى أن روح حبيبها هى التى كانت تجذبها ، فقد انعقد مزاد بيعه فى الساحة . وما إن أطلت من هودجها حتى عرفت حبيبها :

(وانبعثت من فؤادها صرخة سقطت على إثرها فاقدة الوعى) .

وتظفر أخيراً بشراء يوسف وتحظى بتملكه .

* ثم يقطع الجامى تسلسل الأحداث ويستطرد إلى موضوع قد مسه قبل ذلك مسًّا رفيقاً ، وهو موضوع العشق بالسماع ويستهله بالآتى :

(إن العشق لا ينبعث من الرؤية فقط ، فما أكثر ما تنبعث السعادة من الكلمات .

وتظهر جلوة الحسن عن طريق الأذن فتسلب من الروح الراحة ومن القلب الوعى .

ولم يكن للدلالة عمل من قبل إلا أن تحكى قصة المعشوق الجميل

فتجعل الأشخاص يعشقون بالغيب دون أن يكون للرؤية أثر مطلقاً) .

ويسوق الجامى على ذلك القصة الآتية :

فقد كانت بمصر فتاة جميلة تسمى بازغة أسرتها قصة يوسف وأوصافه فمالت لرؤيته ، وقد جمعت كل أموالها واتجهت صوب يوسف :

(ومن رؤيته لأول وهلة سقطت فاقدة الوعى ، وللذة فقدان الوعى صارت حرة منه .

ثم استردت وعيها بعد فقدانه ، واستعادت يقظتها من نوم غفلتها .)

وتسأل يوسف عمن أبدع حسنه فيجيبها بأنه من صنع المبدع ، وهو قطرة من بحره ، والدنيا ما هى إلا برعم من بستان جماله ، ثم يشرح لها نظرية العشق مقارناً بين العشق الحقيقى والمجازى ويطلب منها أن تتجه نحو العشق الحقيقى . فتستجيب له وتتخلص من كل أموالها ومتاعها وتعيش عيش الزهادة والعبادة ، وينهى الجامى الحكاية بالدعوة الحارة إلى الحب الحقيقى ونبذ الحب المجازى :

(فتعلم الشجاعة أيها القلب من تلك المرأة ، وتدرب على طريقة الصياح فى المآتم ، تفكر فى عاقبة أمرك إذا لم يكن لديك مثل هذا الهم ، فإنه إذا لم يكن عندك هذا المأتم فأنت خصم له . لقد انقضى العمر ، وأنت عابد للصورة ، ولم تنج لحظة من التفكير فيها .

فحسن الصورة كل لحظة إلى زوال ، وهو متغير كل زمان من حال إلى حال .

اتخذ مكاناً لمقعدك أعلى الكون واتخذ عشاً لك أعلى قصر المعنى
فالمعنى واحد . أما الصورة فآلاف فلا تطلب عددها ممن يحصونها .
فحيث توجد الكثرة يكون الاضطراب أما الوحدة فمرحباً بها .
إذا لم يكن لديك القدرة على مجابهة العدو فمن الأفضل أن تتحصن
بدلا من محاربته .

* ثم يعود الجامى إلى تسلسل الأحداث فيذكر رعاية زليخا ليوسف وخدمتها له ومناجاتها لكل ما يتعلق بشخصه ، فمثلا :

(حينما كانت تبسط عليه قميصه ، كانت تبوح بسرها للقميص .
وتقول : فليكن جسدى خيطاً فيك وليتمتع جسدى بجسد مثلك) .

* ثم ينتقل الجامى إلي نقطة مهمة فى الحب وهى إحساس العاشق بآلام المعشوق وأحزانه حتى ولو كان بعيداً عنه ، وأقول : حتى ولو كان العشق عن طريق الرؤيا المنامية ، وقبل أن يتحقق على أرض الواقع ، فمثلا فى الوقت الذى كان فيه يوسف يلاقى العذاب من إخوته كانت روح زليخا فى حزن عميق دون أن تدرى لهذا الحزن سبباً أو مصدراً ، يقول الجامى :

(نعم إن لإنسان يعرف أن للقلوب طريقاً يربط بينها .
وخصوصاً العاشق الذى اهترأ قلبه يكون صادقاً فى طريق معشوقه .
فيشق طريقاً من كل مكان صوب المعشوق وينظر إليه من هذا الطريق) .

* وتطلب زليخا وصال يوسف ولكن يوسف يتعفف ، وتمرض زليخا وتصاب بأعراض الفراق من دموع وآهات واصفرار وجه ، وهذا هو حال الحب لا راحة فيه ، يقول الجامى :

(حينما يعلق العاشق قلبه بمعشوق لا يقر له قرار أبداً .

فإن لم يجد نقد الوصال فى كفه فإنه يعاشق خياله بالنسيئة

لكن قلبه يقطر دماً إذا رأى أمر البعد من القلب وحينما تتمتع العين . الدامعة يفكر فى التقبيل والعناق ولو وهبه القبلات والأحضان لظل متألماً خوف الهجر فليس فى العشق أمل لسعادة ولا صفاء لحياة فأوله غم وهم ونهايته موت) .

وتسأل المربية زليخا عن حالها فتحكى لها عن صد يوسف وتعففه ، كما تحكى لها عن غيرتها من كل ما يمس جسد يوسف :

(إنى أحسد دائماً كم ثوبه فإنه يستقر على ساعديه بالحيلة .

وأمزق الروح وألطم الجيب (غيرة) من طرف ثوبه فإنه يحنى وجهه على التراب أمام أقدامه) وتبكى المربية حال زليخا وتطلب زليخا منها أن تكون الرسول إلى الحبيب فتذهب إليه وتستعطفه بحق جماله وتكشف له عن آلام زليخا ثم تسأله الرحمة والوصال ، لكن يوسف يتعفف رعاية لحق الله ولحق العزيز الذى آواه . وتضطر زليخا إلى أن تستعطف يوسف بنفسها ولكن يوسف يبكى ويقول : إن حب الناس كان بلاء : فقد أحبتنى العمة فاتهمت بالسرقة وأحبنى الوالد فزرع الحقد فى نفوس الإخوة

فأبعدونى إلى مصر ، والآن ماذا يخبئ لى القدر من آلام نتيجة حب زليخا ؟

وهنا يلمس الجامى نقطة مهمة فى طبيعة العشق وهى الغيرة :

(نعم إن سلطان المعشوقين غيور ، فهو لا يرضى له شريكاً فى ملك عشقه) .

وتحاول زليخا أن تسترضى يوسف فتذهب به إلى حديقة لها ، وتعرض عليه ألوان الفتن من الجوارى الجميلات ولكنه يظل على موقفه فتستكين فى صدفة أحزانها ، ولكنها تلجأ أخيراً إلى مربيتها ، وتضع تحت تصرفها ما تشاء من المال ، فتقترح المربية بناء قصر ، يزدان كل موضع منه بصور العاشقين المدلهين ، حتى يثور الشوق فى نفس يوسف عندما يقع نظره عليها :

(نعم إنه لا وجود لليأس فى هذا الطريق فكل ليل يعقبه نهار .
فإذا لم يتحقق أملك من مائة باب فلا ينبغى أن تحزن يأساً .
وعليك أن تطرق باباً آخر عسى أن تظفر بمقصودك منه فجأة) .

وتدعو زليخا يوسف . وتغلق الأبواب ، وتشكو له آلامها . وتعرض نفسها عليه بشتى الأساليب ولكنه يتعلل ويضع العراقيل ، ويقع بصر يوسف فجأة على صنم لزليخا ، وكان موضوعا وراء ستارة ، فيسألها عن السبب فتجيب :

(وقد جعلت مكانه داخل الستر حتى لا ينظر إلىّ .
ولا يرى منى عادة الكفر ولا يرانى فى مثل ما ترانى عليه) .

ويرد يوسف : إذا كان الخجل يصيبك من أجل صنم لا حياة فيه فكيف لا أخاف البصير العليم ؟ ويفر يوسف هاربا ، وبقدرة الله تعالى تفتح له الأبواب المغلقة ، ولكن زليخا تلاحقه من حجرة إلى أخرى ، وفى آخر حجرة تقد قميصه من دبر ، ولكنه يفلت من يديها ، ويفاجأ بالعزيز فيسأله عن سبب اضطرابه فيجيبه بما لا يفشى سر زليخا ، ولكن زليخا ترميه بالخيانة فيبرئه الله على يد طفل ، ينطق بقدرة الله : إن كان قميص يوسف قد قد من قبل فقد صدقت زليخا وإن كان قد قطع من دبر فقد برئت ساحة يوسف من الخيانة ، فلما رأى العزيز أن القميص قد قد من دبر حكم ببراءة يوسف وتوجه باللوم إلى زليخا وأمرها بالاستغفار. وتشيع القصة بين نساء مصر فيلهبن زليخا بسياط اللوم ، واللوم فى العشق كما يقول الجامى :

(إن ركن السلامة لا يتفق مع العشق ، فما أجمل الفضحة فى حى الملام .

إن فم العشق ينضر بالملامة ويذيع صيته من الضوضاء
إن الملامة حارس سوق العشق وهى التى تصقل صدأه .

والملامة فى العشق من كل جانب هى سياط للاجسام المتبلدة . فحينما يكون الجواد المسافر بطىء الخطى فإنه يسرع خطاه بذلك السوط) .

فلما سمعت زليخا بأمر النسوة دعتهن إلى حفل فى قصرها ، وأمرت

بيوسف فخرج فى أحسن صورة فلما رأينه قطعن أيديهن بما قدم لهن من سكاكين لتقطيع البرتقال ، وكان ذلك من شدة الشوق إلى يوسف ، ذلك الشوق الذى أفقد البعض الروح والبعض العقل ، فلما رأت زليخا ذلك الأثر سألتهن العون ، فتوسطن لها عند يوسف ، ولكن يوسف لما رأى منهن التخلى عن طريق الدين والعقل سأل الله تعالى أن يريحه منهن بالسجن ، فأودع السجن بتدبير من زليخا حتى يخضع لأمرها ، وقد انتقصت بذلك من مرتبة حبها ، يقول الجامى :

(فحينما لا يصل العاشق فى عشقه إلى درجة الكمال فإنه لا يعلق خياله إلا بمراده .

ويريد من حبيبه أن يكون تابعاً له وأن يقوم بعمله كما يرغب .

إن رائحة ورد من بستان المعشوق تستدعى وخز مائة من أشواك الأحزان المحيطة بروحه) .

وتندم زليخا على فعلتها ويزداد بكاؤها على فراق يوسف وتتحسس آثاره :

(فكلما سمت رائحته فى شىء من الأشياء تنهدت من روحها .

فكانت تمسك بقميصه بين الحين والحين لأنه ذات يوم لامس جسده .

فتعطر به أنفها كالورد وتسكن به ألمها .

وأحيانا كانت تضع وجهها على طوقه وتقبل أطرافه بكل تحسر) .

(وإذا رأت نعليه متجاورين رأت أن تقبيلهما بالروح شيء لا يعدله ثمن) .

وتعجز زليخا عن تحمل الفراق ، فتذهب إلى السجن ليلا فى صحبة مربيتها حتى تشاهد يوسف ، أما بالنهار فهى تصعد إلى سطح القصر حتى ترى سطح السجن ، ويزداد بكاؤها وعويلها . ويخرج يوسف من السجن بعد أن يؤول رؤيا الملك : فلقد رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، فيؤولها يوسف بحلول القحط مدة سبع سنوات بعد الخصب والنماء سبعاً سابقة . ويأخذ الملك للأمر عدته ويأمر ، بحسب مشورة يوسف ، أن يخزن الحب فى سنابله استعداداً لمواجهة القحط ، واعترافاً بفضل يوسف ينادى الملك به عزيزاً على مصر ، ولم يتحمل زوج زليخا هذا الأمر فيموت حزناً وأسفاً . وتبتلى زليخا بمحنة غروب الجاه عن بيتها ، وبمحنة ألم الفراق والهجر ، ولكن الذى أثر فيها حقيقة إنما هو ألم الفراق (إن القلب المحزون من المعشوق يكون طليقاً من كل فرح أو غم) .

وعاشت زليخا فى الأحزان حتى فقدت نور البصر ، وأخذت تلقى بكنوز الذهب والفضة تحت أقدام من يسمعها قصة يوسف ، حتى فقدت مالها وعاشت عيشة الزهاد فقنعت بلباس خشن وبكوخ من الغاب على طريق يوسف حتى تنعم بالإحساس بمروره ، وكانت تصيح كلما مر ، فأخذ الأطفال يمازحونها ويخبرونها كذباً بمروره ولكنها تقول :

(لا تعبثوا بهذه السخرية من جرح قلبى فإن رائحة يوسف لا تصل إلى أنفى) .

وكلما مر يوسف تناديه ، ولكنه لا يلتفت ، فتدخل كوخها ، وتعلم أن صنمها لا يضر ولا ينفع ، فتحطمه ، وتعلن الإيمان والتوبة – فيكافئها الله تعالى بترقيق قلب يوسف فيستجيب لندائها ويسمع قصتها وأحوالها ، ثم يدعو لها فيرتد إليها البصر والشباب والجمال ويتزوجها بأمر من الله تعالى وفى الوقت الذى يدخل عشقها قلب يوسف نرى عشق يوسف ينسل من قلبها ليحل محله الحب الحقيقى وهو حب الإله :

(وذات ليلة هربت من قبضة يوسف وخلصت منه متعثرة .
وحينما أمسك بيده طوق قميصها من الخلف تمزق قميصها فى يده .
فقالت زليخا : إن كنت قد مزقت قميصك من قبل على جسدك .
فإنك الآن قد مزقت قميصى ولحق بك جزاء ذنبى .
وإنى غير خائفة من التفاوت فى هذا الأمر فنحن متساويان فى تمزيق القميص) .

ويصدق الجامى حين يقول :

(إن من يخطو بالصدق فى طريق العشق يتحول فى النهاية إلى معشوق .
ومن ذا الذى قدم إلى طريق العشق الصادق ولم يصبح المعشوق عاشقاً له ؟ !) .

ويتوفى يوسف عليه السلام وتهلك زليخا حزناً عليه ، وتدفن بجواره على إحدى ضفتى النيل فيظهر القحط والوباء فى الضفة الأخرى ، فيستقر الأمر على وضع رفات يوسف فى تابوت حجرى ويلقى فى قاع النيل ، وهكذا يكتب الفراق على الحبيبين حتى بعد وفاتهما .

(ب) من قصص الحب الفرعى : قصة زال وروداية (الشاهنامة للفردوسى) :

لكل أمة من الأمم على اختلاف العصور والبيئات ، أناشيد وقصص منظومة ومنثورة تمثل مرآة صادقة ترى فيها الشعوب نفسها وتاريخها ، وتختلف الأمم فى مقدار ما حفظ لها من هذه القصص وأثر عنها من هذا الشعر ، كما تختلف فى وجود شاعر أوتى من دقة الحس وقوة العاطفة ما يجعله يجمع هذه القصص ويهيئ الجو لأبطال هذا الشعر – فيخرج الكل فى ثوب ملحمة عارمة تعبر عن آلام القوم وآمالهم ، وهذا يفسر لنا وجود الملاحم فى بعض الأمم دون بعضها . والشعر الملحمى، عند الفرس ، يضرب بجذوره إلى أعماق الزمن السحيقة ، فهو يرجع فى بعض أصوله إلى نصوص الأوستا وخاصة فى القسم المعروف بـ « يشتها » (أى : الصلوات) ، وهناك أقدم ملحمة منظومة وهى ملحمة (اياذكار زريران) وكل هذا كان له تأثيره الكبير فى الشاهنامات وخاصة شاهنامة الفردوسى . ولقد بدئ فى نظم الشاهنامات حينما بدأت الدويلات

الفارسية الإسلامية تنفصل عن الدولة العباسية وتظهر إلى عالم الوجود ، ونستطيع أن نحدد من الشاهنامات الآتى :

– شاهنامة الشاعر أبى مؤيد البلخى وقد كتبها نثرا حوالى عام ٣٥٢ هـ.

– شاهنامة أبو على محمد بن أحمد البلخى وهى شاهنامة منثورة لا نعرف عنها شيئاً إلا ما كتبه عنها أبو الريحان البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » وذلك عند حديثه عن كيومرث . وإذا كان البيرونى قد ألف كتابه عام ٣٩١ هـ، فمعنى هذا أن البلخى قد ألف شاهنامته قبل هذا التاريخ .

– شاهنامة مسعودى المروزى وقد كتبها نظماً ، وممن أشار إلى هذه الشاهنامة المقديسى فى كتابه « البدء والتاريخ » وهو مؤلف حوالى عام ٣٥٥ هـ.

– شاهنامة أبى منصور محمد بن عبد الرازق الطوسى .

– شاهنامة أبى منصور بن محمد بن أحمد الدقيقى البلخى ، وهو من شعراء الرعيل الأول العظام ، وقد قتل عام ٣٦٨ هـ.

– شاهنامة الفردوسى ، وهى النص الباقى الكامل من شاهنامات الفرس ، بل هى قرآن القوم على حد تعبير ابن الأثير ، ولقد اعتبرها مؤرخو الأدب النموذج الكامل لفن الملحمة فى الأدب الفارسى ، واستناداً إلى خصائصها الفنية يقرر هؤلاء العلماء الخصائص الحقيقية لفن الملحمة الفارسية .

وشاهنامة الفردوسى قصة شعرية لبطولات قومية : اختلطت فيها الأساطير بالحقائق . والخيال بالواقع وهى فى أحداثها الطويلة مرآة صافية تعكس أمام الأعين أمجاد الفرس وحضارتهم منذ أقدم العصور الأسطورية حتى سقوط الدولة الساسانية على يد العرب ، فهى تتناول تاريخ الفرس كله حتى استيلاء العرب على بلادهم ، وهذه فترة طويلة من التاريخ على عكس الإلياذة مثلا ، إذ لا تتناول على سعتها إلا وقائع الأيام الأخيرة من السنوات العشر التى حاصر فيها اليونان مدينة طروادة . وتقع الشاهنامة فى أبيات تربو على الخمسين ألف بيت من الشعر ، وهو طول ضخم لا تصل إليه إلياذة هوميروس إذ لا تتجاوز أبياتها ستة عشر ألف بيت . وقد صيغت الشاهنامة على شكل المثنوى . ووزنها بحر المتقارب وهو وزن يتلاءم مع ما يشيع فى الشاهنامة من جو الحروب ونيرانها ومع ما يغلب على الأبطال من النشاط والفتوة والعنف . وقد استغرق نظمها ما يقرب من خمسة وثلاثين عاماً تبدأ من سنة ٣٦٥ هـ إلى سنة ٤٠٠ هـ . واستمد الفردوسى مادة شاهنامته من الكتب القديمة وعلى الأخص الشاهنامة المنثورة التى جمعت بأمر والى خراسان منصور بن عبد الرازق وقد تم جمعها عام ٣٤٦هـ .

وفى غمار الحديث عن البطولة والأبطال لا ينسى الفردوسى أن يحدثنا حديث القلوب والعشاق ، ولكن فى ثوب من الطهر والعفاف ، وهو حديث متعدد يتناول كثيراً من قصص الحب مثل : قصة زال وروداية ،

وقصة بيجن ومنيجة – وقصة كتايون وأردشير وقصة رستم وتهمينه . ولكن القصة التى سنتناولها هى أجمل قصص العشق على حد تعبير الثعالبى فى كتابه : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، وأعنى بها قصة زال ورودابة . ولهذه القصة أهمية خاصة فى الأدب الفارسى الملحمى : فرودابة بطلة القصة هى زوجة بطل عظيم هو زال زر ، وهى عربية . فهى ابنة مهراب ملك كابل . وحفيدة الضحاك الملك العربى ، وهى فوق هذا وذاك أم البطل رستم الذى يلعب دوراً هامًّا فى تاريخ الملاحم الفارسية . وليس هو رستم الذى هزم أمام العرب فى موقعة القادسية . ونستطيع أن نعرض قصتنا فى الآتى :

كان سام بن نريمان ، أو سام يل – واليا من قبل الملك منوجهر على سجستان وزابلستان وأطراف الهند ، ولم يكن له نظير فى الفروسية والشجاعة ، وقد تمنى على الله تعالى أن يرزقه ابناً ونذر لذلك النذور ، فاستجاب الله لدعائه ووهبه طفلاً جميلاً (جسده) كالفضة بياضاً ، وكالجنة جمالاً ، غير أنه كان أشيب الرأس والحاجب فنفر منه أبوه وأمر بطرحه فى أحد الجبال الشاهقة حتى يقضى الله فيه أمره ، فرأته العنقاء فحملته إلى وكرها فوق قمة من قمم جبال « الالبرز » وربته مع فراخها حتى كبر واشتد عوده ، وذات ليلة رأى سام فى المنام فارساً هنديًّا يعدو إليه ويخبره أن ابنه حى ، فجمع الحكماء والموابذة وسألهم تعبير رؤياه فأخبروه أن الله تعالى قد منّ على الطفل برعايته وعنايته ، وسألوه أن يجد

فى طلب الطفل . وفى الليلة التالية رأى فى المنام شابًّا مليح الوجه حسن القسمات ومن خلفه جيش كثيف ، وعلى يمينه حكيم مشهور وعلى يساره أحد الموابذة وتقدم إلى سام أحد الرجلين وعاتبه عتاباً شديداً على ما فعله مع ابنه ، فنهض سام من نومه على عجل واستدعى الحكماء وقادة الجيش وذهب إلى جبال البرز . وحينما رأته العنقاء عرفته وعرفت مقصده فزودت الطفل بريشة من جناحيها ، حتى إذا ألمت به مصيبة أو اشتد به كرب يحرق الريشة فتظهر له العنقاء فى الحال وتغيثه ، وحينما نظر الأب إلى ابنه رآه لائقاً بالتاج والعرش :

(صدره وسواعده فى قوة الأسد ، ووجهه فى طلعته كأنه الشمس .

كان له قلب الأبطال ويد تبحث عن امتشاق الحسام .

أهدابه بيضاء وعيناه سوداوان كأنهما القار .

وشفتاه محمرتان كأنهما المرجان ، ووجهه أحمر كأنه الدماء) .

واشتد سرور الجميع بالطفل حينما رأوه على هذه الصورة ، وأسماه أبوه دستان ولقب بزال زر أى الشيخ الكبير بلغة أهل سجستان وزابلستان . وعلم منوجهر ملك إيران بأمر الطفل فاستدعى الوالد والولد فلما مثلا بين يديه سر الملك بالطفل :

(حينما رآه صبيًّا حسن الوجه ، ممشوق القد ، مليح الحركات والشمائل حلو الجملة والتفصيل) .

واستخلف الوالد ابنه على سجستان وزابلستان حينما ذهب هو إلى

جرجان ومازندران ليؤدب المتمردين فيها ، وقسم زال أيامه بين رياضة الصيد ومجالسة الحكماء ، ثم نشط للطواف فى أنحاء البلاد فوصل إلى زابل ، ومنها إلى كابل حيث قابلها ملكها مهراب ، وكان من نسل الملك الضحاك ، وأعجب زال به وتحدث مع رفاقه عن دماثة خلقه وفروسيته ، وعلم من هؤلاء الرفاق أن لمهراب بنتاً اسمها رودابة :

(إن خلف ستره بنتاً وجهها أكثر رواء وبهاء من الشمس بيضاء كأنها العاج من رأسها إلى أخمص قدمها .

وجهها مثل الجنة وقامتها كأنها شجر الساج . وجفناها كأنهما الرمان وشفتاها كأنهما حب الرمان .

فلما سمع زال هذه الأوصاف هام برودابة حبًّا ، ووله بها عشقاً . ولقد خلا مهراب إلى ابنته رودابة وإلى زوجته سيندخت ، وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث حتى وصلوا بالحديث إلى زال فتحدث عنه مهراب بإعجاب :

(إن زال زر ليس له ند فى الدنيا بين الأبطال الكماة .
حينما تنظر إلى يديه وعنانه أمام الإيوان .
لن نجد له على السرج نظيراً بين الفرسان .
له قلب أسد رئبال ، وقوة فيل ينزل الأهوال .
ويداه مبسوطتان فى الكرم والعطاء كأنهما نهر النيل .
فى بلاطه ينثر الدر ، وفى الحرب ينثر الرءوس) .

فلما سمعت رودابة هذه الأوصاف عن زال لم يهدأ لها قرار فقد استقر حب زال فى قلبها وأخذت تبحث عمن تأنس منه المساعدة فى لقاء الحبيب .

(كان لها خمس من الخدم الأتراك الرحيمات .

قالت لهن : سوف أبوح لكن بسر خفى .

إنكن جميعاً موضع أسرارى ، المخلصات

لى المشاركات فى همومى .

إننى عاشقة ، ولقد صرت مثل البحر الهائج الذى تلاطمت أمواجه حتى السماء .

إن قلبى النير مليء بابن سام ولا أنام من فرط التفكير فيه .

إن قلبى دائماً فى غم حبه ، وليلى ونهارى دائمة التفكير فى وجهه .

والآن ما هو العلاج لهذا الأمر ، وما قولكن ، وما هو الشرط والعهد الذى تقطعنه معى ؟ .

أولاً : يجب الآن أن تفعلن حيلة لتخلصن فؤادى وروحى من الألم) .

وتنجح الخادمات فى جمع شمل الحبيبين فيتلاقيان و يتعاهدان على الوفاء فى حبهما مشهدين الله على ذلك . ويكتب زال إلى أبيه يخبره بأمر هذا الحب ويرجوه الموافقة على الزواج . ولكن زال ما كان ليبارك هذا الزواج وهو يعلم أن رودابة سليلة الضحاك ، ولكنه لم يقطع فى الأمر ،

وإنما جمع الموابذة والمنجمين واستشارهم فبشروه بأن هذا الزواج سيثمر غلاماً يكون له شأن فى تاريخ إيران ، ولكن لا بد من أخذ موافقة منوجهر كما تقضى التقاليد . وبعد أن عاد سام من قتال الخارجين فى مازندران وجرجان - قابل الملك منوجهر الذى كان يعلم بأمر حب زال ، وحاول أن يأخذ إذنه بالزواج ، ولكن منوجهر لم يترك له الفرصة لعرض أمر الزواج ، بل فاجأه بالأمر بأن يزحف بجيشه إلى كابل وبلاد الهند حتى يقضى على مهراب لأنه من نسل الضحاك ، فامتثل سام للأمر ، ولكن أهل كابل هبوا ضارعين إلى البطل زال حتى يكفيهم شر الحرب فتوسط لدى والده سام وتضرع إليه فقبل ضراعته ، وبعثه برسالة إلى الملك منوجهر يرجوه الموافقة على الزواج فلما مثل بين يديه أكرم لقاءه واستشار الحكماء والموابذة فى أمر الزواج فباركوه ثم أمرهم باختبار زال فنجح فى الاختبار ، ويوافق منوجهر على الزواج . ثم ينقلنا الفردوسى إلى قصر مهراب فى كابل ، وينقل لنا ثورته العارمة على زوجته سيندخت وابنته رودابة حتى يحاول قتلها ، ولكن سيندخت تنجح فى تهدئة ثورته ، وتطلب منه الأموال والكنوز فيجيبها إلى طلبها ، وتخرج متنكرة حتى تصل إلى سام محملة بالهدايا والكنوز وتتضرع إليه أن يكف عن حرب مهراب فيجيبها إلى طلبها ، بعد أن يتعرف على شخصيتها ثم يوافق أيضاً على زواج زال من رودابه وتقام الأفراح ويسعد العروسان ، ولا تلبث رودابة أن تحمل حملاً ثقيلاً يؤثر على حسنها وجمالها وفى ليلة يأتيها المخاض فتغيب عن

الوعي ويتذكر زال ريشة العنقاء فيأتي بها ويحرقها فتظهر العنقاء مجيبة ملبية وتخبر زال أن الطفل لكبر حجم رأسه لن يولد من الرحم وتأمر زالا بأن يعد خنجراً ماضيا وأن يسكر زوجته بالشراب ثم يستدعي طبيباً حاذقاً حتى يشق خاصرتها ، ويخرج الطفل من أحشائها ثم يخيط الجرح ويرش عليه دواء وصفته العنقاء ثم تعطيه ريشة من جناحها وتأمره بأن يمررها على الزوجة فتنهض سليمة صحيحة . وينفذ زال كل ما أمرت به العنقاء وتلد رودابة طفلاً جسيماً جميلاً ، ويفرح الجميع وينثرون الذهب والجواهر ، وتقول رودابة : برستم ، أى نجوت ، فيسمى الطفل رستم . وهو بطل أبطال إيران الذى حيكت حوله الأساطير وألفت عنه القصص .

هذه هى قصة زال ورودابة كما قدمها الفردوسى ، وبطلنا فى هذه القصة هو زال بن سام ، وقد عاش منذ ولادته فى عالم بعيد عن الحقيقة : فقد أخذته العنقاء إلى وكرها وتربى مع فراخها ، وهو محور الحوادث فى القصة وقد اختاره الفردوسى فارساً شجاعاً جميلاً وفيًّا فى حبه يجتاز الصعوبات حتى يتمكن من تحقيق مراده . أما المرأة التى تخيرها الفردوسى فهى رودابة بنت مهراب ملك كابل ، كما ذكرنا ، وهى من سلالة عربية ، فجدها الضحاك الذى كان منوجهر يمقته ويكرهه ، ولقد تسامى الفردوسى بجمالها وخلقها : فهى لا تخلف للحبيب وعداً ولا تنقض له عهداً ولا ترضى بغيره لها زوجاً . والجانب العاطفى فى

القصة يلعب الدور الرئيسى فيها ، وقد وقع الحب بالوصف دون المشاهدة . وهو حب مثالى يتفق وروح الفروسية والوفاء لدى العاشق غاية فى ذاته ، وفى سبيل الحب تهون كل الغايات ويتغلب على كل الصعوبات ، وهذه هى سمة الحب فى الملاحم وقصص الفروسية .

(حـ) من القصص التوضيحى :

عشق ملك لجارية . (جلال الدين الرومى) [1] :

هذه الحكاية الشعرية قد نظمها جلال الدين الرومى ليجسد بها ويوضح ما أورده فى مقدمة المثنوى من حديث عن الحب الإلهى :

لقد دار الحديث عن الإنسان المعذب بآلام الفراق ، واتخذ صبغة المزاوجة بين الرمز والحقيقة فى تناغم لا يجعل القارئ يضل فى بيداء الرمز أو يمل من جفاف تقريرية الحقيقة . فى المفتتح لا نسمع نواح العاشق المحروم صادراً من إنسان وإنما ينسحب الإنسان من المسرح لتحل محله آلة المحزونين والعاشقين :

(استمع للناى كيف يقص حكايته : إنه يشكو ألم الفراق) .

الفراق من الموطن الأصلى والحلول فى موطن آخر :

(إننى منذ قطعت من منبت الغاب والناس رجالاً ونساء يبكون لبكائى) .

---

(١) اعتمدت فى هذه الفقرة على ترجمة أستاذى المرحوم الدكتور محمد عبد السلام كفافى وذلك فى ترجمة لكتاب المثنوى .

وهو ينشد فى نواحه مخلوقاً يحس إحساسه حتى يدرك ألمه :

(إننى أنشد صدراً مزقه الفراق حتى أشرح له ألم الاشتياق) .

ونخرج من ليل الرمز إلى نهار الحقيقة :

(فكل إنسان أقام بعيداً عن أصله يظل يبحث عن زمان وصله) .

ولكن هل أدرك الإنسان سر نواح الناى :

(لقد أصبحت فى كل مجتمع نائحاً ، وصرت قريناً للبائسين والسعداء .

وقد ظن كل إنسان أنه قد أصبح لى رفيقاً ، ولكن أحداً لم ينقب عما كمن فى باطنى من الأسرار وليس سرى ببعيد عن نواحى . ولكن أنى لعين ذلك النور ، أو لأذن ذلك السمع الذى به يدرك الأسرار) ؟

ويكشف النقاب عن الرمز فيصرح ويقول :

(وليس الجسم بمستور عن الروح ولا الروح بمستور عن الجسم .

ولكن رؤية الروح لم يؤذن بها لإنسان) .

ثم ينسحب الناى ليظهر مولانا جلال الدين شارحاً ومعلقاً :

(إن صوت الناى هذا نار لا هواء ، فلا كان من لم تضطرم فى قلبه مثل هذه النار .

وهذه النار التى حلت فى الناى هى نار العشق ، كما أن الخمر تجيش بما استقر فيها من فورة العشق .

إن الناى نديم لكل من فرقه الدهر عن حبيبه ، وإن أنغامه قد مزقت

ما يغشى أبصارنا من حجب .

من رأى مثل الناى سما وترياقا ؟ من رأى مثل الناى رفيقاً مشتاقاً ؟

إن الناى يروى لنا حديث الطريق الذى ملأته الدماء ويقص علينا قصص عشق المجنون .

وهذه الحكمة (التى ترويها) قد حرمت على من لا عقل له ، فليس هناك من يشترى بضاعة اللسان سوى الأذن) .

ثم يفصح الشيخ عن محبوبه ويبين أنه الإله الباقى الذى لا نظير له فى النقاء والطهر ، وأن العمر فى سبيله لا قيمة له :

(لقد أصبحت أيامنا متشابهات فى الهموم ، وصارت الحرقة والآلام ملازمة لهذه الأيام فإذا ذهبت الأيام فقل : اذهبى فلا خوف لدينا (من ذهابك) .

ولتبق أنت يا من ليس لك نظير فى الطهر والنقاء) .

ويعود الشيخ إلى الرمز فيقول :

(كل من لم يكن من فصيلة السمك فإنه يشبع من الماء ، وكل من كان بلا رزق طال يومه) . أى أن الصوفية لا يشبعون من الحب الإلهى كالسمك لا يشبع من الماء ، أما غير الصوفية فيشبعون من الحب لأن حبهم لا يتجاوز المجاز إلى الحقيقة أى أن حبهم مقصور على الحب الإنسانى ولا يتعداه إلى الحب الإلهى . ولعلنا بهذا التفسير نكون قد قاربنا الحقيقة حيث إن الحب قسمان : حب حقيقى وهو الحب الإلهى ، وحب

مجازى وهو الحب الإنسانى ، وكما يقرر الصوفية : إن السالك لا بد له من الحب المجازى حتى يشرع فى طريق الحب الإلهى ، إذ الحب المجازى معبر إلى الحب الحقيقى . ثم ينتقل مولانا جلال الدين إلى بيان طريق الحب ، ويحصره فى الزهد والتحرر من رق المادة :

(أيها الولد ، إلام تظل أسير الذهب والفضة ؟ حطم قيودك وتحرر منها) .

إنك لو أردت أن تغترف البحر بكوز ، فهل يسع هذا الكوز أكثر مما يكفيك يوماً واحداً .

ومع هذا فإن عين الحريص (على الدنيا) لا تمتلىء (ولا يغمض لها جفن وما يحفل الصدف إلا حين يغتمض) ثم يتحدث الشيخ عن آثار العشق فيقول :

(وكل من تمزقت ثيابه من العشق فإنه يصبح طاهراً من الحرص ومن كل العيوب ، فلتسعد أنت يا من عشقه الجميل سر هيامنا ، ويا من هو الطبيب لكل ما نشكوه من علل يا من هو الدواء لغرورنا وكبريائنا ، يا من هو لنا مثل أفلاطون وجالينوس .

إن العشق جعل جسم الأرض يعلو على الأفلاك ، فرقص الجبل وأضحى خفيف الحركة ، العشق حل فى روح الطور أيها العاشق ، فسكر الطور وخرموسى صعقاً) .

ولكن هل استطاع مولانا جلال الدين أن يفصح عن دقائق الحب الإلهى :

(آه لو كانت شفتاى تقترنان بشفتى حبيبى ، إذن لكنت كالناى أقول ما ينبغى قوله .

فكل من فرقه الدهر عن أهل لسانه ، يصبح بلا لسان حتى ولو سمع له مائة صوت) .

ثم ينتقل الشيخ إلى بيان الفرق بين الحب الإلهى والحب المجازى :

(وحين يذبل الورد وينقضى عهد بستانه لا يعود البلبل – بعد هذا – يروى لك قصة أشجانه) .

إن المعشوق هو الكل ، وأما العاشق فحجاب ، والمعشوق هو الحى وأما العاشق فميت أى أن الحب الإنسانى مرتبط بالجمال المادى ، وعمر الجمال المادى قصير كالورود ، فإذا حان الأجل فإن البلبل أو العاشق لا يعود إلى الغناء كما كان . أما الحب الإلهى فإن المعشوق فيه ليس وردة فى بستان وإنما هو الكل . وأما العاشق فحجاب لأن الحقيقة الكلية وهى المعشوق تجلت فى العاشق الذى هو فرد جزئى – فحجبها هذا التجلى من كليتها وإطلاقها وأظهرها فى ثوب الكثرة والقيد . ولابد للعاشق أن تكون له رعاية من العشق وإلا ظل تعساً . لأن الوصول ، كما يقول الصوفية ، لا ينال إلا بأمرين : بذل المجهود من الإنسان ، ثم التيسير واللطف من الله تعالى :

(وحينما لا تكون للعاشق رعاية من العشق فإنه يبقى تعساً كطائر بلا جناح) . وإذا كان العالم هو تجليات الله أو بعبارة أخرى : هو المرآة التى

ظهر على صفحاتها الحق – فإن هذه التجليات هى الأنوار المنبعثة من الأشياء والتى يرى العقل فى ضوئها هذه الأشياء :

(وكيف يكون لى عقل يدرك ما أمامى وما ورائى ، حينما لا يكون نور حبيبى أمامى وورائى ؟

إن العشق يقتضينا أن نبوح بهذا القول وإلا فكيف تكون المرآة إذا لم تنعكس صور المرئيات ؟

أو تدرى لم أظلمت صفحة مرآتك ؛ إنها أظلمت لأن الصدأ قد علاها ولم ينفصل عنها .

فاستمعوا أيها الأحباب إلى هذه القصة فهى تنطوى بحق على نقد حالنا) :

حكاية عشق ملك لإحدى الجوارى :

فى هذه الحكاية يتناول مولانا جلال الدين قضية الحب المجازى وأنه حب فان لا دوام له ، أما الحب الإلهى فهو الحب الباقى الدائم ، وتسير الحكاية على النحو التالى : فى إحدى رحلات الصيد لأحد الملوك الذين دانت لهم أمور الدين والدنيا – يرى هذا الملك جارية فيعشقها من أول نظرة ، ومن ثم يشتريها ، ولكن ما يكاد يقر بها عيناً حتى تصاب الجارية بالمرض ، وهنا يقرن مولانا جلال الدين هذا الموقف بالأمثال الموضحة فيقول :

(لقد كان لديه حمار لا سرج له ، فلما وجد السرج أكل الذئب الحمار .

وكان لديه إناء ولكن لا سبيل إلى الماء . فلما وجد الماء انكسر الإناء) .

ويجمع الملك مهرة الأطباء ولكن لغرورهم وعدم استعانتهم بالله تعالى واعتمادهم على أنفسهم ، لا تشفى الجارية وإنما يزيد مرضها ، وهنا يتوجه الملك إلى الله تعالى ، وبعد الضراعة وارتفاع الصياح من أعماق الروح – يأتى الفرج من الله تعالى ، فيأتيه فى النوم ولى من أولياء الله يبشره بقضاء حاجته على يد رجل غريب من الأولياء يرسله الله إليه فى الغد ، وحينما تتحقق الرؤيا ويأتى الضيف ليستقبله الملك وتتصل روحاهما دون رابطة مادية سابقة وذلك تحقيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» . ويبين الملك لضيفه أن عشقه فى الحقيقة ليس عشقاً مجازياً ، وإنما يأخذ من هذا العشق المجازى وسيلة للعشق الحقيقى ؛ فهو يقول للضيف (إنك كنت معشوقى لا تلك الجارية ، لكن الأمور يظهر بعضها بعضا فى هذه الدنيا) .

وبعد هذا يربط الملك حزامه و يقف لخدمة الضيف . وهنا ينتهز مولانا جلال الدين الفرصة ، ويعقد فقرة كاملة لرعاية الأدب وبيان وخامة الأضرار التى تنجم عن فقدان الأدب – بعد كل هذا يأخذ بيد الضيف إلى مقر الحريم ويطلعه على الجارية فيتفحصها ويدرك مرضها :

(لقد رأى من أنينها أنها مريضة القلب ، وأن الجسم بخير ولكنها أسيرة القلب .

فإن العشق يظهر فى أنين القلب ، وليس هناك مرض مثل مرض القلب .

وأن علة العاشق المتميزة عن سائر العلل ، فالعشق هو اصطرلاب أسرار الله) .

ثم يتحدث الشيخ عن أمر العشق وأن العقل عاجز عن بيانه وشرحه ، إذ العشق يشرح نفسه بنفسه ومثله فى ذلك مثل الشمس ، وهنا يلتقط مولانا جلال الدين الخيط فيقارن الشمس المادية وشمس الروح ، يقول مولانا جلال الدين :

(والعقل فى شرح العشق مثل حمار نام فى الوحل ، فالعشق نفسه هو الذى يشرح لنا العشق وفعله .

إن الشمس هى دليل الشمس ، فإذا كنت بحاجة إلى الاهتداء فلا تحول وجهك عنها .

وإن كان الظل يقدم لك علامة لهذه الشمس فإن الشمس الخالدة تلقى عليك نوراً روحيًّا .

والظل مثل السمر يأتيك بالنوم وحين تطلع الشمس ينشق القمر .

وليس فى هذه الدنيا غريب مثل الشمس وشمس الروح باقية لا أمسى لها .

والشمس الظاهرة – وإن كانت فريدة – فإننا نستطيع أن نتصور مثيلاً لها .

أما شمس الروح التى خرجت من الأثير فليس لها فى الذهن ولا فى العالم الظاهرى نظير .

وأين التصور الذى يتسع لذاتها حتى يكون من المستطاع تصور مثلها) .

ثم يأمر الطبيب الإلهى بإخلاء الدار إلا منه ومن الجارية ، وأخذ يستعرض مع الجارية أحوال حياتها وبلدتها والبلاد التى عاشت فيها وأسماء وأحوال أقربائها وأصدقائها ، كل هذا وهو ممسك بنبضها ومراقب لأحوال وجهها وكلما ازداد النبض أو تغير حال الوجه عند اسم مكان أو شخص ربط بينه وبين حالها حتى عرف اسم العشيق وبلدته وعنوانه ، وكان صائغاً من سمرقند . وتنفيذاً لأمر الطبيب الإلهى بعث الملك فى إحضار هذا الصائغ ، فلما حضر مسوقاً بخيال العزة والجاه أسلم إليه الملك خزائن الذهب وأنعم عليه بالجارية تنفيذاً لرغبة الحكيم ، وبدأ الوصال يشفى الجارية حتى تم شفاؤها بعد ستة أشهر ، وهنا يعد الطبيب للصائغ شربة ، ما إن يشربها حتى يضمحل أمام الجارية .

(وعندما ذهب المرض بجماله لم تعد روح الجارية عليلة بهواه) .

فلما أصبح دميماً قبيحاً أصفر الوجه أخذت نار قلبها تنطفئ رويداً رويداً .

إن العشق الذى لا يكون إلا من أجل نضارة اللون ليس بعشق وعاقبته سوء السمعة والعار) .

وبعد أن يلفظ الصائغ حياته تخلص الجارية من ألم العشق .

(ذلك لأن عشق الموتى لا دوام له فالميت ليس بعائد إلينا) .

أما عشق الحى فيبدو للروح والعين فى كل لحظة أنضر من الزهر .

فاختر لنفسك عشق ذلك الحى فإنه باق وهو الذى يسقيك شراباً يزيد من قوة روحك .

اختر عشق من وجد الأنبياء بعشقه القوة والمجد .

ولا تقل «ليس لنا سبيل إلى ذلك الملك» فإن التعامل مع الكرماء لا عسر فيه)

ثم يعقد الشيخ جلال الدين فقرة يختم بها الحكاية وهو يعالج فيها موقف الشريعة من قتل الصائغ ، فيقول :

(إن قتل هذا الرجل بيد الحكيم لم يكن بدافع من طمع ولا وجل

وهو لم يقتله مرضاة للملك ، وإنما قتله عندما جاءه أمر الله وإلهامه .

فإن قطع الخضر حلق الغلام لأمر لا يدرك سره عامة الخلق .

فكل من يتلقى من الله الوحى والجواب يكون كل ما يأمر به عين الصواب) .

الحب بين الصورة الفارسية ومنابعها الأصلية

عند كل من الجامى وفيدرس نجد عناصر كثيرة من التشابه :

- كل منهما يعطى للحب بعداً ميتافيزيقياً ، فعند فيدرس الحب هو الإله ، أما عند الجامى فطرفا الحب أعنى المحب والمحبوب هما الإله وهذا قبل وجود العالم .

- الحب قديم لأنه الإله عند فيدرس ، أما عند الجامى فهو قديم بقدم طرفيه اللذين هما شىء واحد ، وهذا أيضاً قبل وجود العالم .

- كل منهما يرى أن الحب مصدر لكل فضيلة .

- وإذا كان فيدرس يجعل المحبوب أجمل من المحب فإن الجامى يجعل الجمال أساس الحب والمحرك فى قلوب العاشقين .

* تقسيم الحب إلى قسمين : حب جنسى محض وحب روحى - إذا كنا قد شاهدناه عند بوزنياس ووجدنا محوره هو الذكر والأنثى فى الحب الجنسى أو الذكران فى الحب الروحى - فإننا نجده أيضاً عند المسلمين ، ولكن محوره هو الذكر والأنثى منظوراً فيه إلى الشهوة الحسية فى الحب الجنسى ، ومنظوراً فيه إلى تواصل الأرواح فى الحب الروحى الإنسانى ، أما فى الحب الإلهى فإن الأساس فيه هو الإله والإنسان ذكراً كان أو أنثى ، وفى هذا الاتجاه يسير الفرس لكن الغالب فى الحب

الإنسانى أن يكون محوره الذكر والأنثى .

* الحب يمتد تأثيره إلى كل مكان وإلى كل موجود ، هذه القضية كما يسلمها أريكسماخوس فإن جلال الدين الرومى والجامى يسلمانها أيضاً .

* فكرة الوحدة بين المحب والمحبوب كما نجدها عند أرستوفانز فإننا نجدها أيضاً عند الجامى ، وإذا كان الحب عند أرستوفانز ليس إلا تعبيراً عن الشوق إلى العودة إلى الأصل فإن جلال الدين الرومى يرى هذا الرأى لكن العودة إلى الأصل تعنى عنده العودة إلى الأصل الروحى ، أما عند أرستوفان فيعنى به العودة إلى الشكل الكرى قبل الانشطار .

- تفسير الجامى للحب يلتقى مع تفسير سقراط حيث ينتهى كلاهما إلى أن الحب شىء مضاف وليس بإله . وأن الحب ينقصه الجمال ، إذ الجمال هو الغاية ، والهدف قد يكون الولادة فيه وهذا فى الجمال الحسى وقد يكون الاتحاد به وهذا فى الجمال الإلهى .

* أما فكرة التدرج فى الحب فإننا نجدها عند سقراط الذى هو فى الحقيقة يتكلم بلسان أفلاطون ووفق نظريته فى المثل - ونجدها أيضاً عند الجامى وجميع صوفية الفرس حيث يوجبون البدء بالحب المجازى ثم يرتقى منه إلى الحب الحقيقى أو بعبارة أخرى : يلزم البدء فى الحب انطلاقاً من المحسوسات ثم الصعود منها إلى غير المحسوس ، وفى كلا الحالين لم يكن البدء بالمحسوسات إلا لأنها ظلال لعالم المثل وفق النظرية

الأفلاطونية ، وظلال للحقيقة على مرايا الخليقة عند الفرس .

* بالرغم من هذه التشابهات فإننا يجب أن نلاحظ أن نظرية الحب اليونانية قد كتبت بلسان العقل فاصطبغت بالصلابة والجفاف وانطلقت من قرب الفواصل بين الإله والإنسان حيث تتداخل الطبيعة مع عالم الآلهة . أما الحب عند الفرس فقد كتب بلسان العاطفة ، واصطبغ بأريج الجمال الحزين وانطلق من بعد الفواصل بين حقيقة الإله وحقيقة الإنسان حيث يكون الانفصال كاملاً بين الطبيعة والإله .

* وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى المقارنة بين صورة الحب فى الفكر العربى وبين صورة الحب فى الشعر الفارسى ، فإننا نجد التشابه الكامل والواضح بين الصورتين ، وهذا راجع إلى أن الصورتين قد خرجتا من منبع واحد هو الثقافة الإسلامية تلك الثقافة التى شارك فى بنائها كل من الفرس والعرب حتى تنوسيت القومية وأصبح كل فرد يعتز فقط بانتمائه إلى هذه الثقافة وإلى دينها الحنيف ، ولكن يجب أن نلاحظ أن الصورة العربية باعتبار أن اللغة العربية هى لغة القرآن والدين — قد سبقت الصورة الفارسية ، ولكنها لم تكن خالصة فى عربيتها ، إذ قد شارك فى صنعها بعض الفرس الذين اتخذوا من العربية لغة للتأليف .

العاشق فى الشعر الفارسى هو طائر جريح أذهب العشق بريشه وأمامه الورود والمياه العذبة والسماء الصافية ، لكنه عاجز لا يملك إلا نظرة الشوق ونغمة الحزن حتى حينما تهدأ جراحه ويعود ريشه فإن الخوف من

عودة الماضى يظل يلاحقه ويطارده ومع ذلك هو مثابر على طلب الوصال .

أما المعشوق فيتصنع الصلف والتكبر والغرور حتى يستوثق من صدق العاشق فيهبه نعمة الوصال ، لكنها ومضات سريعة ما تلبث أن توجد حتى تذهب ويعقبها الفراق والهجر . وهذا واضح فى الرسائل العشر ، ولكن هذا ليس أمراً مطرداً ، إذ أن المعشوق فى يوسف وزليخا مثلا تمنعه العفة وتقوى الله من الاستجابة للمحبوب ، ولكن بعد الإيمان والزواج تشاهد المعشوق ينقلب إلى عاشق ، والعاشق للحب المجازى يتطور إلى عاشق للحب الحقيقى : وفى قصة مثل زال ورودابه تشاهد التجاوب بين الحبيبين والانتهاء إلى الوصال المكلل بتاج الزواج وإنجاب الأبطال .

* اللوحة الشعرية وما فيها من تشكيلات التشبيه والاستعارة تكاد تتشابه فى معظم شعر الحب الفارسى .

* استخدام لغة واحدة فى كل من الحب الحقيقى والحب المجازى جعل الرؤية مزدوجة فى قراءة شعر الحب : فصاحب العشق المجازى يتشبث بذوائب ليلى وخصرها وثغرها وصاحب العشق الحقيقى إنما يجعل هذه الأمور سلماً يترقى به إلى مصدر الجمال الأكبر والمعشوق الأكمل وهو الله تعالى .

* دعائم الحب فى الشعر الفارسى تقترب من دعائم الحب فى الدراسات النفسية الحديثة حيث إن كليهما :

- يوحد المحبوب .
- يركز الشعور حول ذات المحبوب دون غرض أو منفعة وهذا فى الحب الروحى والحب الإلهى .
- يهدف إلى الثبات والاستقرار .

وبعد ، فإن الحب ، وهو قضية لإنسان الكبرى ، لا يمكن أن تستوعب فى مثل هذه الصفحات . ولكن حسبنا فى هذا المجال أننا قد قدمنا الإطار العام ورسمنا الصورة الإجمالية لهذه العاطفة النبيلة لدى قوم وصف بلادهم بأنها : بلاد الشعر والورد والبلبل .

والله أسأل أن يقلل من أخطائى وأن يمنحنى التوفيق والسداد .

د . عفاف السيد زيدان

رئيسة قسم اللغة الفارسية وآدابها

كلية البنات الإسلامية . جامعة الأزهر

الكتاب القادم

الإنسان والعلم

د . عبد العزيز أمين

رقم الإيداع	١٩٧٧/٥٤٤٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ١٢٣ - X

١٥٨/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

